حكايات من بحور التاريخ

دراسة أدبية

د. محمد فتحي عبد العال

الطبـعـة الأولـــــى

2021م ـ 1442هـ

عنــوان الكتاب: حكايات من بحور التاريخ

اســـم المـؤلف: د. محمد فتحي عبد العال

التصنيف الأدبي: دراسة أدبية

رقـم الإيـــــداع: 10048 / 2021

الترقيــم الدولي: 9 - 079 - 998 - 977 – 978
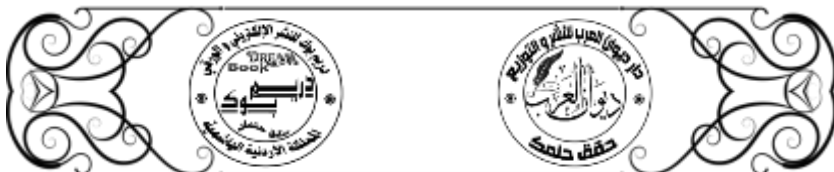
التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين — **تـصـميـم الغلاف: محمد وجيــه**

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه — **رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولـى**

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع ـ مصر ـ بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حكايات من بحور التاريخ

دراسة أدبية

د. محمد فتحي عبد العال

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال الذي طالما حلم بأن يكون له كتاباً في التاريخ يحمل اسمه... أحلامٌ وأمانٍ مشروعة حال بينه وبين تحقيقها المرض.

أهديه هذا الكتاب وهو في دار الحق راجياً أن يكون علماً نافعاً في ميزان حسناته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته) حسّنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم :**3596.**

المؤلف

****
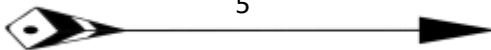
مقدمة

في شهر رمضان دائمًا ما يكون لي معه ميقاتاً للإبحار عبر سفينة التاريخ وإذا ذكر التاريخ فلابد وأن تكون وجهتي مصر ليس لكونها وطني، بل لأنها أرض الحضارات ومهدها فبين دروبها وحواريها وأزقتها ومساجدها وشوارعها حكايات وقصص ووقائع تستحق أن تروى.

ولأن الإلمام بكل هذه القصص غاية لا تدرك بين دفتي كتابي الصغير، فقد حرصت على تنوع الحكايات والمعالم بين قديم وحديث، متمنياً أن يكون عملي هذا نواة لعمل تاريخي أكبر يضم كل الآثار المصرية الإسلامية مستقبلاً.

والله من وراء القصد

د. محمد فتحي عبد العال

****
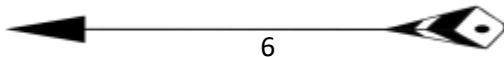
على باب زويلة

في مصر تتجلى عبقرية المكان حيث أبوابها الشاهقة العتيقة ذات البصمات الخالدة فمنها عبر الأجداد إلى قلب التاريخ وخلفوها صامدة تروي قصصاً وحكايات جسدت تجاربهم الإنسانية، وما لاقوه من خطوب بصدق ومنها بابنا في حلقة اليوم.

باب زويلة أو كما يطلق عليه البعض بوابة المتولي. كان الغرض من الباب في البداية للأغراض الدفاعية، وقد عرفت مصر هذا النوع من التحصين ضد الهجمات الخارجية في العهد الفاطمي، مع قدوم القائد (جوهر الصقلي) لمصر والذي بنى الباب من الطوب اللبن، لكن مع مرور الزمن لم يعد الطوب اللبن ملائماً، فأعاد بناءَه أمير الجيوش (بدر الدين الجمالي) من الحجر وقام بتعليته وشيّد ببابه زلاقة كبيرة من حجارة الصوان لتوقف تقدم الجيوش المغيرة وتعيق تقدم خيولهم، لكن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل الأيوبي أمر بهدمها حينما انزلق فرسه وسقط عليها.
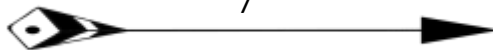
وحول السبب في تسميته بباب زويلة؛ فأورد المؤرخون كونه الباب الذي يؤدي بالقوافل غرباً نحو مدينة زويلة الليبية، وقيل نسبة لقبيلة زويلة إحدى قبائل البربر المغربية التي وفدت لمصر برفقة جوهر الصقلي. أما السر في تسميته بباب المتولي، لأن بمدخله كان يجلس متولي تحصيل ضريبة الدخول للقاهرة، ولكن الحكايات الشعبية كان لها رأيٌّ آخر، فهي تنسب هذه التسمية لصاحب الكرامات القطب الصوفي المتولي، والذي يراقب الأولياء جميعهم ومركزه الرئيسي سطح الكعبة، لكن مخبأه المفضل هو باب زويلة؛ فأصبح مكاناً مقدساً خاصة في رمضان والناس يأتون إليه من كلّ فجٍ وصوب بين طامح للرؤية المباركة مختبئاً خلف الباب، لعلّه يظفر بنظرة من المتولي ومريض بالصداع يدق مسماراً لفك السحر، أو بوجع الأسنان يخلع سنه ويضعه في شقوق الباب، وكان أصحاب الحاجات يتركون خرق من ملابسهم ويعلقوها بمسامير على الباب فإذا زار القطب الباب لبى حاجتهم فضلاً عن تجمع الشحاذين والمجاذيب بكثرة. ومن بركة المتولي إلى بركات وكرامات الشيخ المجذوب أحمد أبو شوشة الذي كان يضع في فمه مائة إبرة ولا تعوقه عن الأكل والشرب والكلام بحسب الجبرتي!

لم تكن هذه الأساطير الشعبية وليدة العهود المتقدمة فحسب، بل ارتبطت به من بداياته، ولعلّ من أطرفها ما علق بالأذهان من أن بوابة القوس الملاصقة للمسجد التي دخل منها المعز لدين الله، هي فأل خير وبركة فالعاقر لو مرت بها أنجبت، والعانس تتزوج، وكان الباب في بدايته يتألف من قسمين أو بوابتين.

ومن الأساطير الشعبية إلى الأمثال كان للباب نصيب، فالمثل يقول: "نعوذ بالله من حمول "ابن عرام" وقصة المثل كما يرويها ابن إياس أن الأتابكي برقوق أرسل مرسوماً إلى نائب الإسكندرية خليل بن عرام لقتل الأمير المملوكي بركة الجوباني، وكان حبيساً فلما تسرب الأمر إلى مماليك بركة ثاروا على برقوق والذي تنصل من الواقعة وأنكر صلته بالأمر. حاول ابن عرام أن يدافع عن نفسه، وأنّ ما فعله كان بأمرٍ من برقوق دون جدوى وكان برقوق قد أخذ منه المرسوم خفيه، ثم عاقبه بدق المسامير في يديه وتركه لمماليك بركة ليعلقوه على باب زويلة.

أساطير وأمثال مثلها الباب هذا على صعيد العامة والبسطاء أما الحكام وصفوة المجتمع فكان البابُ فألَ نحسٍ وشؤمٍ لهم، فذكر اسمه كفيل ببث
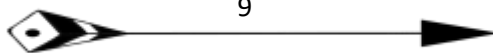
الرعب في نفوسهم مع تحوله لساحة للإعدامات وتعليق الرؤوس في العصور التالية على العهد الفاطمي خاصة في العهد المملوكي.

من أشهر من أعدموا على باب زويلة آخر سلاطين المماليك طومان باي (تعني بالتركية أمير دخان - أمير ضباب) والذي هزم أمام جحافل العثمانيين بعد بسالة وشجاعة أبداها في الريدانية وقد أفردنا لهذه الحادثة قسماً كبيراً في نهاية هذا الكتاب. وكذلك رسل التتار الذين أمر السلطان المملوكي سيف الدين قطز (تعني قطز بالتركية الثور الوحشي) بضرب رؤوسهم لوقاحتهم الشديدة.

ومن ألطف حالات الشنق عليه وكأننا نستحضر حكاية ريا وسكينة ولكن في العهود القديمة، حكاية امرأة اسمها الخناقة ذاعت شهرتها في القاهرة بين الناس أنها تستخدم الحيلة في سلب الأطفال والنساء ثيابهم، ثم خنقهم؛ فبلغ ذلك السلطان فقبض عليها وشنقها على الباب عام 739 هجرية بحسب رواية ابن إياس.

ومن أبرز ما يميزُ البابَ مئذنتا مسجد المؤيد شيخ فوق أبراجه.

ولا زال باب زويلة قائماً ليشهد على ماضينا العريق.

المراجع والمصادر

1-بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس
2-عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي
3-المصريون المحدثون لإدوارد وليم لين

****
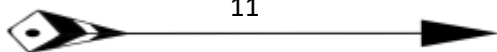
البيمارستان المنصوري

وصفه ابن بطوطة بما "يعجز الواصف عن محاسنه" فيما اعتبره القلقشندي "البيمارستان الذي ليس له نظير في الدنيا".

تبدأ حكاية هذا الصرح باتخاذ السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون (تعني كلمة قلاوون بالتركية الأمير البطة) من دار الست الجليلة عصمة الدين مؤنسة خاتون (خاتون من تأنيث كلمة «خاقان - تون» والذي يعني الملك أو السلطان ويكون بذلك معنى خاتون السيدة أو السلطانة) القطبية ابنة الملك العادل المعروفة بالدار القطبية بيمارستانا وعوضها عنها بقصر الزمرد والبيمارستان كلمة فارسية تعني دار المريض أي مستشفى. ويرجع المؤرخون السبب في هذا البناء إلى إصابة قلاوون بقولنج عظيم (القولون العصبي) بدمشق في غزوة للروم، وكان لازال أميراً في عهد الظاهر بيبرس؛ فعولج في بيمارستان نور الدين محمود بن زنكي، فلما برأ نذر أن يبني مثله إن آتاه الله ملك مصر وقد كان. وفي رواية أخرى أن قلاوون تغير خاطره يوماً على عوام الناس وتغير خاطر السلطان خطب جلل في هذه العصور المظلمة فأعمل مماليكه السيف في الناس الصالح والطالح منهم

ثلاثة أيام حتى اشتدَّ الأمر؛ فشفع القضاة والمشايخ لدى السلطان فراق خاطره، وحتى يكفر عن فعلته هذه بنى هذا البيمارستان!!

أوكل قلاوون أمر البناء للأمير سنجر الشجاعي وكان مهاباً، فجمع صناع القاهرة ومصر لهذه المهمة، وحسب وأوقف مماليكه لتصيد الناس وتسخيرهم في البناء، فإذا مرّ أحدٌ من الناس بموقع العمل ألزموه أن يرفع حجراً ويضعه في الموقع فتحاشى الناس المرور من المكان.

كان البيمارستان أحد أقسام مجمع قلاوون المعماري الذي ضم أيضاً مدرسة وضريحاً وسبيلاً، وينقسم البيمارستان إلى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وقد ضم أقسام الباطنية والجراحة والتجبير والكحالة (أمراض العيون)، وقد سبق البيمارستان عصره في مراعاة قواعد مكافحة العدوى؛ فكان لكل مريض فرش كامل خاص به، ويصرف له مروحة من الخوص للتخفيف من حرارة الصيف، وكان له السبق أيضاً في علاج مرضى الأرق بالعزف والموسيقى والاستماع للقصص والروايات بغرف منفصلة، وكان المبنى من الضخامة بما يسع علاج أكثر من أربعة آلاف مريض وقد ضم أمهر الأطباء وكان لكل مريض شخصان يقومان على خدمته، وما أن يتعافى المريض حتى يعزل عن باقي المرضى ويعطى كسوة ودراهم للنفقة وعلاج
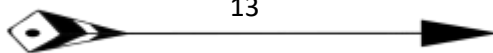
يشمل قناطير الأشربة المقطرة والأكحال الرقيقة، أما من مات من المرضى فكان يجري تجهيزه وتكفينه ودفنه على حساب البيمارستان.

علاوة على ما أسلفنا، فقد كان سباقاً في نظامه الإداري أو ما نسميه حالياً بحوكمة النظام الصحي، وتعزيز تجربة المريض، فحينما أوكل أمره للأمير جمال الدين آقوش الأشرفي كان يتفقد بنفسه أمور المرضى ليلاً ونهاراً ويتنكر أحياناً ليقف على احتياجاتهم وملاحظاتهم عن الفرش وأداء الأطباء.

ومن ألطف ما يروى أن السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي وكان غريب الأطوار، أمر أن تقطع الحيات التي يستقى منها الترياق بحضرته، حتى يشاهدها بنفسه داخل البيمارستان وكافأ على هذا الصنيع رئيس الطب شمس الدين القوصوني وولده والحاوي الذي أحضر الحيات!!

وقد عاصر البيمارستان الحملة الفرنسية على مصر عام **1798** وأسهب الأثري آدم فرانسوا جومار في وصفه في كتاب وصف مصر.

مع تعاقب العصور بدأ دور البيمارستان يتقلص شيئاً فشيئاً، حتى اقتصر على مرضى العقول عام **1856**، ثم أصبح مستشفى للرمد عام **1915**، ولم يبق منه سوى قسم من الأيوان الشرقي والغربي بهما سبيلان للماء.

المصادر والمراجع

1-تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى

2-السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي

3-تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة

****
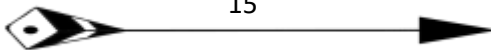
مسجد ابن طولون

لا عجب أن يصف المؤرخون القاهرة بمدينة الألف مئذنة وبها أعرق وأقدم المساجد الإسلامية.

يعد مسجد أحمد بن طولون ثالث مسجد جامع بمصر ويقع بحي السيدة زينب. ما يميز المسجد منارته الملوية على غرار مسجد سامراء بالعراق.

مُنشئ المسجد هو (أحمد بن طولون) ذو الجذور التركية، وقد جاء إلى مصر نائباً عن حاكمها القائد التركي (باكباك) الذي ولاه الخليفة العباسي المعتز ولكن لرغبة باكباك في البقاء بعاصمة الخلافة بغداد حيث السيادة والنفوذ أناب ابن زوجته أحمد بن طولون لهذه المهمة، وبعد مقتل باكباك تولى مكانه (يارجوخ) والد زوجة بن طولون مما منح الأخير المزيد من النفوذ. استطاع ابن طولون أن يطبق بسرعة على زمام الأمور بمصر، وأن يضم حكم الإسكندرية والشام إليه وأعمال الخراج، ودفعته طموحاته لتأسيس دولته الطولونية التي تتمتع باستقلال جزئي مع بقاء السلطة الإسمية للخلافة. أنشأ ابن طولون مدينة القطائع لتكون عاصمة لدولته وأسس بها المسجد الذي نحن بصدده، وحدث أن رأى ابن طولون رؤيا أن

الله تجلى لجميع القصور المحيطة بموضع جامعه، ولم يتجلَّ لجامعه، مما أقلق مضجعه فاستشار المفسرين، فقالوا: بأنه "يخرب ما حول الجامع ويبقى هو قائماً" ودليلهم قوله تعالى: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا)، لذا فقد كانت وصيته للمهندس (سعيد بن كاتب الفرغاني) وهو مهندس قبطي: "أريد أن أبني جامعاً إذا غرقت مصر بقي وإذا احترقت بقي ويكون من مال حلال". الطريف أن هذا ما حدث بالفعل عندما غزا العباسيون مصر واحترقت القطائع لم يبقَ بها سوى هذا المسجد. اختار ابن طولون لبناء المسجد ربوة صخرية تعرف وقتها بجبل يشكر (قلعة الكبش حالياً) وكانت الأقوال بين العامة أن هذا الجبل هو مستقر سفينة نوح بعد الطوفان وهو الأمر غير الدقيق وقد استخدم الطوب الآجر بديلاً من الرخام في بناء المسجد ليكون مقاوماً للحريق.

ولما تم البناء حلم ابن طولون حلماً آخر، من أنّ ناراً عظيمة التهمت المسجد ففسره المفسرون بأن الله قد قبل عمله منه.

الطريف أن المسجد كان مصدر سعد لمهندسه القبطي سعيد، فما أن تم البناء حتى عفا عنه ابن طولون وكان قد حبسه إثر حادثة طريفة؛ ففي أثناء تفقد ابن طولون لأحد مشاريع الري التي يشرف عليها سعيد تعثرت
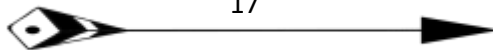
قدم فرس ابن طولون في موضع لازال رطباً، فسقط ابن طولون، فاتهم مهندسه بالتعمد في ذلك وحبسه وجلده.

بعد الانتهاء من بناء المسجد فوجئ ابن طولون برفض المصلين دخول المسجد لاعتقادهم أنه بني من مال حرام، فلما كان يوم الجمعة خطب فيهم ابن طولون مقسماً أنه بناه من مال حلال، وهو كنز ظفر به في الجبل الثالث (موضع يسمى تنور فرعون)!

ولمنارة المسجد قصة لا تخلو من طرافة، فمع مقتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وكان من بين القتلة الأمير حسام الدين بن لاجين (تعني كلمة لاجين بالتركية نوع من الصقور في كناية عن الشجاعة) فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد مكاناً يختبيء فيه سوى المسجد والمنارة وكان قد أصابه الخراب وهجره الناس، فنذر نذراً إن أخرجه الله من هذه الضائقة بسلام وكتب له الحياة أن يعمر هذا المسجد ومنارته فلما تسلطن لاجين على عرش مصر أعاد تجديد المسجد وجعل به دروساً في الفقه والحديث والتفسير.

مع تقادم الزمن نالت المسجد يدُ الإهمال مرة أخرى، فأصبح مقرَ مصنعٍ للأحرمة الصوفية في عهد محمد بك أبو الدهب، ثم حوله الطبيب الفرنسي

كلوت بك لملجأ للعجزة وكبار السن عام **1846**، ثم جرت محاولات بعد ذلك لإعادته لدوره الديني وترميمه عام **1882** وأقيمت أول صلاة جمعة به مجدداً في **3** مايو **1918** حضرها الملك فؤاد وكانت آخر محاولات ترميمه وافتتاحه عام **2005**.
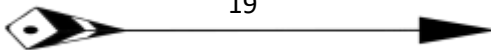
المراجع والمصادر

1-تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب
2-مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للدكتوره سعاد ماهر

****

خانقاه بيبرس الجاشنكير

تعد الخانقاوات من الفنون المعمارية الإسلامية شديدة الخصوصية والتفرد، فهي واحة روحية ينقطع فيها الإنسان للعبادة بعيداً عن ماديات الحياة ومشاغلها. والخانقاه كلمة فارسية تعنى دار التعبد.

من أقدم هذه الخانقاوات، خانقاه بيبرس الجاشنكير الواقعة بباب النصر بحي الجمالية، وتمتاز منارتها بطراز فريد، حيث تأخذ شكل المبخرة مع بقايا بلاطات خزفية إضافة لوجود عتبة تحمل رسوماً فرعونية بمدخل الخانقاه.

انشأها الأمير المملوكي بيبرس الجاشنكير قبل أن يصبح سلطاناً، ثم أتم بناءَها بعد ذلك، وكلمة بيبرس تركية تعني أمير فهد أو فهد غني ولقب الجاشنكير الذي حمله مشتق من لفظين فارسيين، (جاشنا) أو (جاشني) ومعناه الذوق، والثاني (كير) ومعناها المتذوق، وهو ما يقربنا من معرفة مهنة سلطاننا في هذه الحلقة قبل وصوله الحكم، وهي متذوق أطعمة وأشربة، مهنة عرفتها القصور في كل العصور لحماية السلاطين والملوك من الأطعمة المسمومة إحدى أسهل وسائل الاغتيال قديماً وحديثاً.
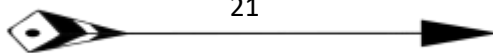
نستطيع أن نطلق عليه سلطان الصدفة، فمؤهلات الرجل وحتى طموحاته لم تكن لترتقي به لمقعد السلطنة، وهو ما أدى إلى انهيار حكمه في أقل من عام!!

كانت بدايته ضمن مماليك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (معنى كلمة قلاوون الأمير البطة) وبعد وفاة قلاوون صعد نجمه في عهد السلطان الناصر محمد في ولايته الثانية، وكان لازال صغيراً مما مكّنَ بيبرس وكان زعيماً للمماليك البرجية والأمير سيف سلار زعيم المماليك الصالحية والمنصورية من الاستئثار بإدارة شؤون البلاد والتغول في فرض الأتاوات على الأفراد والتجار نظير الحماية، مما أدى إلى فرار الناصر إلى الكرك ورفضه العودة حتى يبتعد عن نفوذهما وعيونهما المتربصة به طوال الوقت وخلا منصب السلطان في مصر فجأة فرشح سلار زميله بيبرس ليكون سلطاناً فبايعه الأمراء وتلقب بالملك المظفر. كانت الظروف أقوى من بيبرس الضعيف فانخفاض منسوب النيل وانتشار الوباء وسوء الأحوال الاقتصادية علاوة على هجمات المغول والصليبيين إضافة لخشيته من عودة الناصر فراح يطالبه برد الأموال والمماليك الذين خرج بهم من مصر مما استفز الناصر فوجد أن لحظة الحسم قد حانت لاسترداد سلطاته كاملة فوجد الدعم

والتأييد من أمراء الشام فدخل دمشق ولما علم بيبرس وهو بالقاهرة بذلك تملكه الهلع وأسرع للخزائن ليستولي على ما بها من أموال ويلوذ بالفرار لكن قبض عليه لاحقاً وحمل إلى الناصر فأمر بخنقه.

وبوفاة صاحب الخانقاة أغلقها الناصر وأمر بنزع اسم بيبرس من عليها. ثم جرى افتتاحها بعد عشرين سنة.

كان بالخانقاة مطبخٌ لا يتوقف عن توزيع الخبز واللحم والحلوى على مرتاديه من الصوفيين يومياً ولا عن تلاوة القرآن تحت الشباك الكبير الذي جلبه الأمير البساسيري من بغداد إلى مصر، بعد استيلاء المغول عليها أما الحديث النبوي فكان يجري تدريسه بالقبة.

والطريف أن الشيخ محمد أمين البغدادي شيخ الطريقة النقشبندية الصوفية حينما قدم إلى مصر من موطنه السليمانية اتخذ من هذه الخانقاه خلوة له ومقراً لدروسه ودفن به ولقد حمل لنا الموروث الشعبي ذكر هذا الصوفي في الأهزوجة الشهيرة التي يبتدر بها الأطفال ألعابهم: "حادي بادي سيدي محمد البغدادي".

لازال هذا الأثر قائماً إلا أن ملحقات كانت تابعة له اندثرت بمضي الزمن مثل المخبز والمطبخ.
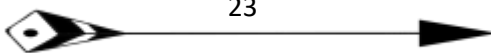
المراجع والمصادر

1-السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي
2-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي

****

حارة حوش قدم

في مصر تتوارى خلف كل جدار ثمة حكايات بعضها يدمي القلب وبعضها ينطق بالهناء والسرور، أبطالها رحلوا ولكن تبقى الحكايات دائماً وأبداً تنبض ببريق الحياة وإن مازجها عبق التاريخ.

وفي الحارات المصرية نلمح سحر هذه الحكايات التي لا تنضب ويتناقلها ساكنيها جيلاً بعد جيل ومنها حارتنا في هذه الحلقة حارة حوش قدم.

حارة ضيقة تابعة لحي الغورية بالقاهرة.. اسمها الحقيقي خشقدم وسميت بذلك نسبة للسلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشقدم الناصري المؤيدي.

أما لقبه الناصري فنسبة للتاجر الذي جلبه لمصر الخواجه ناصر الدين وأما المؤيدي فنسبة لأستاذه السلطان المؤيد شيخ وخشقدم تعني بالتركية قدم السعد أو الخير. بدأ حياته جمداراً أي مسؤولاً عن إلباس السلطان، ثم تدرج في المناصب حتى أصبح أتابكا أي قائداً للجيش في عهد السلطان إينال، ثم تولى السلطنة بعد خلع الملك المؤيد أبي الفتح شهاب الدين أحمد.
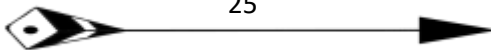
ساد عهده الهدوء فلم يشهد حكمه وباء ولا غلاء أسعار ولا معارك سوى مع بعض الشراكسة والعربان، ولم يعكر صفو هذه الحياة الهادئة سوى قراراته المتسرعة وغير المدروسة، مثل سياسة التمييز بين المصريين عبر منع استعمال الأقباط في الدواوين وإلزامهم بلبس معين وكان الولاء له مقدماً على الكفاءة وهو ما يبدو جلياً في سرعة عزله لرجال الدولة الأكفاء خاصة القضاة واستبدالهم بقليلي الخبرة والكفاءة، كما انفرد بالقرار وحدد إقامة الخليفة العباسي المستنجد بالله يوسف.

جميع هذه الأعمال المحدودة لا ترفع مكانة صاحبها لموقع مميز بين صفحات التاريخ إلا أن حادثاً قدرياً أدخل خشقدم التاريخ من أوسع أبوابه حينما صادف تجربته لبعض المدافع، وقت الإفطار أثناء رمضان فظن الناس أنها تنبيه لهم ومن بعدها صارت تقليداً رمضانياً، وقيل أن المدفع أطلق عليه الحاجة فاطمة نسبة لزوجة خشقدم.

تضم الحارة منزل شاهبندر التجار جمال الدين الذهبي ويعود للعصر العثماني وجامع الفكهاني أو جامع الأفخر وبناه في الأصل الخليفة الفاطمي الظافر بنصر الله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله واهتم بترميمه الأمير المملوكي يشبك بن مهدي ومن بعده الأمير أحمد كتخدا مستحفظان

الخربوطلي في العهد العثماني إلى أن آل أمره للشيخ عثمان شلبي شيخ طائفة العقادين فأعاد بناءه وأنشأ بجواره سبيلاً وكتاباً، فضلاً عن سوق ووكالة لتجارة الفاكهة ومنها جاءت تسميته الحالية.

وقبل أن نغادر الحارة لا ننسى صاحب المثل الشهير: (اركب الحمارة واقض العبارة) وهو الشيخ أحمد الدردير نصير الحق والساعي في قضاء حوائج الناس مستخدماً حماره ذهاباً وإياباً، وكان الأمراء يخشونه ويلبون له ما قصد، حتى اعتبره الناس من أولياء الله الصالحين وله مسجد الشهير بهذه المنطقة.

وفي العصر الحديث أصبحت الحارة مقصد الفنانين والشعراء ومنها انطلق الثنائي الشهير شاعر العامية أحمد فؤاد نجم والملحن والمغنى صاحب الصوت الشجي الشيخ إمام.
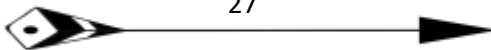
المراجع والمصادر:

1-بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس
2-عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي
3-أبو البركات سيدي أحمد الدرديري لعبد الحليم محمود

****

حمام إينال

حضّ الإسلام على الطهارة والعناية بالنظافة الشخصية، وجعلها عنواناً للفرد المسلم لما لها من أثر كبير في الحفاظ على مظهر الإنسان وصحته لذا لا غرو أن تكون شرطاً لأداء بعض العبادات كالصلاة مثلاً.

ومن تقويم سلوكيات الأفراد تشيد الحضارات وتنهض ولكل حضارة آثار تتحدث عنها وعن مآثرها لذا فقد جسدت الحمامات الكثيرة في العواصم العربية اهتمام الحضارة الإسلامية بالنظافة العامة. ومن أقدم هذه الحمامات بمصر الحمام الذي شيده السلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائي الظاهري وهو من سلاطين المماليك البرجية الشركسية والعلائي في لقبه نسبة للخواجة علاء الدين علي التاجر الذي باعه للسلطان برقوق (برقوق تعني بالتركية السهم القوي.) أما كلمة إينال فأصلها شركسي وتعني شعاع القمر وبالتركية تعني الموثوق به أو المؤمن. تدرج إينال في المناصب الصغيرة إلى أن أصبح أتابكا أي قائداً للجيش في عهد السلطان جقمق حتى واتته الفرصة ليصبح سلطاناً على مصر بعد خلع الملك المنصور عثمان بن جقمق.
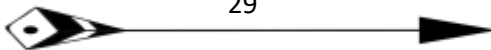
كان من خصال السلطان إينال الحميدة تحري الشريعة فيما يخص القتل وعدم حبه للتملق وإطالة الدعاء في الصلاة، لكن في المقابل كان أمياً لا يحسن حتى قراءة الفاتحة، وكانت صلاته سريعة كالنقرات، وشاب عصره الوهن حيث قاوم ثورات داخلية وخاض حروب خارجية محدودة شأن العهود المملوكية قاطبة، فتمكن من القضاء على سبعة ثورات داخلية كانت سياسته السبب فيها حيث كان يعتمد على المماليك الجلبان وما أكثر مفاسدهم وتمردهم وهم المماليك كبار السن مخالفاً سياسة من سبقوه في شراء المماليك الصغار وتنشئتهم منذ نعومة أظافرهم على الولاء لسيدهم لا يعرفون غيره مما سبب له المتاعب، كما اختلف مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله وسجنه بالإسكندرية، وفيما يخص الشأن الخارجي فقد أرسل حملة لتأديب إمارة بني قرمان انتهت باعتذار أميرهم والصلح كما أرسل أسطولاً بحرياً لحماية جزيرة قبرص التي كانت تحت الحكم المصري من الوقوع بأيدي الفرنجة ومن آثاره مدرسة ومسجد وخانقاه بقرافة المماليك وتجديده لمسجد الغمامة بالمدينة المنورة والحمام الذي نحن بصدده.

يوجد حمام أينال في شارع المعز لدين الله الفاطمي قبالة قصر الأمير بشتاك ويتألف من مدخل بسيط يقود إلى حجرة باردة لخلع الملابس قبل

الاستحمام وتؤدي إلى الحجرة الدافئة، ثم الساخنة وللحفاظ على دورة الهواء الساخن فقد زودت الحجرة الباردة والساخنة بالقباب الضحلة وهي مكسوة بالزجاج الملون وخلف الحمام يوجد المستوقد حيث تستخدم القمامة الموجودة به في تسخين المياه بالحمام. والحمام يوجد به نظام إضاءة يبعث على الراحة والاستجمام مما يصبغ عليه ميزة إضافية.

ولا تخلو الحمامات من طرافة فقد شب حريق بأحد الحمامات فهرب الذين كانوا بداخلها وهم عراة فيما التهمت النيران الذين خجلوا من الخروج وهم على هذه الحالة رجالاً ونساءً؛ فصار المثل من وقتها "اللي اختشوا ماتوا" وهو مثل شعبي لابد وأن يوضع في سياق القصة لو صحت تاريخياً فالحياء من الفضائل التي تنجي أصحابها بمشيئة الله وقدره.
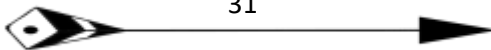
المراجع والمصادر

1-بوابة وزارة السياحة والآثار المصرية
2-بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس
3-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي

****

تربة الست

على أرض بلادنا لا يقف حجر على حجر إلا ويزين الثنايا بينهما حكايات متدفقة كالماء في العيون، مرصعة بالحكمة، حافلة بالشجون أحياناً والسرور أحياناً أخرى، لكننا إن أردنا أن نصيب كبد الحقيقة؛ فالشجن والحزن يبقيا الأقرب لطابع هذه الحكايات ومنها حكايتنا اليوم عن صاحبة الضريح القابع بميدان السيدة عائشة، إنها خوند أردوكين ابنة الأمير سيف الدين نوكاي بن قطغان الأشرفية مغولية الأصل، والتي سحرت لبَّ الأشراف خليل بن قلاوون ليتزوجها وهي شقيقة منكبك زوجة أخيه وتعد هاتان الزيجاتان من النماذج الفريدة للتواصل بين المجتمع المملوكي والتتري، وتصير أردوكين خوندا أي السيدة الأولى في بلاط مملكة كبيرة كمصر، فقد كان زوجها من أعظم سلاطين المماليك، وقد تمكن من فتح عكا والمراكز الصليبية على ساحل الشام وقلعة الروم جنوب الأناضول، ولكن قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فمع حادث اغتيال زوجها الأشرف في رحلة صيد كان حلمها بالبقاء قد أوشك على التداعي، فهي لم تنجب وريثاً للحكم ذكراً وأنجبت له بنتين، لكنها لم تكن بالمرأة التي
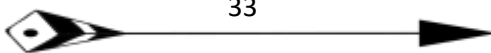
تتوارى خلف أستار القصور بهذه السهولة، فبعد أن أقامت عزاءً عظيماً لزوجها الراحل استغرق ست ليالٍ، ولم تهدأ نارها حتى كان ذبح قاتله الأمير بيدرا على يد زعيم المماليك الأمير زين الدين كتبغا المنصوري، أسرعت بالتقرب من شقيق زوجها الناصر محمد بن قلاوون، والذي اعتلى الحكم في الثامنة من عمره وتزوجته حينما بلغ رشده في السادسة عشر من العمر... ربما كان الفارق العمري بين الملك الشاب والأرملة الناضجة سلاح ذو حدين في هذه القصة، فكما نجحت أردوكين بخبرتها في مساندة الناصر في سلطنته الثانية والثالثة، إلا أنه ربما كان سبباً في فتور العلاقة بينهما لاحقاً... ومع ظن أردوكين بعلو مكانتها بعد ميلاد ابنها من الناصر والذي أسمته علي، وحمل لقب المنصور إلا أن وفاته المبكرة وهو صغير كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر العلاقة بينهما، وبدأ الفتور يزداد حتى وقع الطلاق وقيل أن الناصر أخرجها لكن لم يصرح بطلاقها.

وخرجت خوند من القلعة بعد أن أخذ منها الناصر بعض الجواهر واتخذت داراً بآخر حارة زويلة فحملت الدار اسمها وكذلك الحارة وخصص لها الناصر نفقة شهرية خمسة آلاف درهم ومائة وخمسين درهماً علاوة على اللحوم والتوابل والفواكه والقلويات والسكر والكسوة وغيرها.

كانت خوند واسعة الثراء محبة للخير والإحسان، ولما ماتت تركت ثروة كبيرة من ذخائر نفيسة، وألفاً من الرقيق، ودفنت بتربتها خارج باب القرافة والتي عرفت بتربة الست.

المحزن أنه وقبل دفنها أراد أخوها الأمير جمال الدين خضر نوكية الاستيلاء على كامل تركتها مهددا جواريها بالقتل إن أخفين شيئا فأمر الناصر بمنعه من التعرض للتركة ثم صالحه بعد ذلك على جزء من التركة دفعه إليه مقابل إبراء ذمة الناصر .وهذا هو حال الدنيا منذ قديم الأزل فما نتركه يتصارع حوله الورثة ولا يتعظ أحد من حكمة الموت.
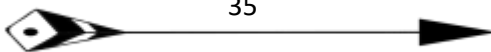
المراجع والمصادر

1-الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني.
2-نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

****

ضريح الأميرة شويكار

ضريح يتحدى الزمن في كبرياء وشموخ بقرافة المماليك بصحراء العباسية، يعد هذا الضريح من التحف الفنية النادرة، حيث صممه الفنان الإيطالي (جابريلي دونتيليه) على هيئة سرير من الرخام الإيطالي شديد الفخامة والندرة عليه وسادة وملاءة.

صاحبة الضريح امرأة من الطبقة الأرستقراطية وسليلة الأسرة العلوية بمصر، الأميرة شويكار بنت الأمير إبراهيم فهمي ابن الأمير أحمد رفعت باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا.

تزوجت الأميرة شويكار من الأمير أحمد فؤاد بن الخديوي إسماعيل أو الملك فؤاد فيما بعد عام **1895**.

وانتقلت إلى قصر زوجها قصر الزعفران بالعباسية (مقر جامعة عين شمس حاليا) وسط مراسم احتفالية بسيطة لظروف مرض الخديوي إسماعيل آنذاك.
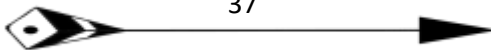
صور جميلة ولقطات مبهرة تلتقطها الصحف ويتناقلها العامة وتداعب مخيلتهم عن حياة هذه القصور وأصحابها، لكن خلف أبوابها كان شيئاً آخر فالصراعات داخلها بأشكالها المختلفة لا تتوقف، والحكايات خلف أروقتها قد تفوق الخيال غرابة ومنها حكاية صاحبة الضريح. كان الزوج الأمير أحمد فؤاد أميراً مفلساً؛ فهو من أصغر أبناء الخديوي إسماعيل، وقد رحل معه إلى إيطاليا في أعقاب عزله عن أريكة الخديوية عام **1879**، بعد الأزمة المالية التي عصفت بالخزانة المصرية نتيجة للديون وجعلتها تحت الرقابة الثنائية البريطانية الفرنسية، ووضعت أملاك إسماعيل في مصر لخدمة الديون.

فكان على فؤاد أن يشق طريقه في المنفى، فحصل على رتبة ملازم في الجيش الأيطالي ثم ياوراً فخرياً للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني مع انتقال أبيه للأستانة وموته هناك. عاد فؤاد لمصر عام **1890** وتدرج في المناصب الشرفية حتى أصبح ياوراً للخديوي عباس حلمي الثاني، واشتهر عنه حبه للتعليم والثقافة؛ فدعم مشروع الجامعة المصرية وكذلك الجمعية السلطانية للاقتصاد والإحصاء والتشريع..

مسار كهذا لم يكن ليقود صاحبة بطبيعة الحال لملك مصر ولا حتى مجرد الحلم، ولكن في المقابل سيطر على فؤاد حلم الثراء والغنى الفاحش، فسعى للزواج من شويكار لتحقق له هذا الحلم، ولم يكن يملك مهرها فتسامحت معه في أن يؤجل سداد المهر. طباع فؤاد القاسية جعلت شويكار تنفر منه ومما زاد الطين بلة إدمان فؤاد للقمار أيضاً وإنفاقه الأموال على ذلك، فأسرت شويكار إلى أخيها الأمير أحمد سيف الدين بسوء معاملة فؤاد وحبسه لها في القصر، مما أجج غضبه فاحتمل مسدسه وأطلق عليه النار في نادي محمد علي فأصابت رصاصاته حنجرة فؤاد ومن وقتها صار صوت فؤاد كالنباح ومادة لسخرية المؤرخين خاصة بعد ثورة عام 1952.

حُكم على الأمير أحمد سيف الدين بالسجن في البداية لكن دفاع المحامي إبراهيم الهلباوي بعدم سلامة قواه العقلية أدى لإيداعه بمصحة نفسية ببريطانيا لكن شويكار استطاعت تهريبه بعد ذلك إلى الاستانة. وقع الطلاق بين شويكار وفؤاد وكما يقولون رب ضارة نافعة، فقد مكنت هذه القضية فؤاد من بسط سيطرته على ثروة الأمير أحمد سيف الدين تحت ستار الوصاية على الأمير المريض.
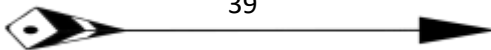
تشاء الأقدار أن يصبح الحلم المستحيل بالأمس واقعاً، وأن يصبح الأمير العابث سلطاناً فبعد وفاة السلطان حسين كامل رفض ابنه الأمير كمال الدين حسين حكم مصر في ظل الحماية البريطانية، فيما وافق الأمير أحمد فؤاد عام **1917**، وأصبح السلطان فؤاد، ثم الملك فؤاد بعد تصريح **28** فبراير **1922** ودستور **1923**.

الطريف أن الجنيه المصري في عهد الملك فؤاد حمل صورة خادمه وكبير أمنائه إدريس بك عثمان النوبي الأصل، بحسب بعض الروايات والذي رأى في المنام أن مولاه الأمير قد ملك مصر كلها فبشر فؤاد والذي كافأه جزاء بشارته السعيدة بوضع صورته على الجنيه الصادر في **8** يوليو **1928**.

بعد تولى فؤاد سعى أن يصبح له وريثاً للعرش فقد رحل ابنه اسماعيل من زوجته السابقة شويكار في سن مبكرة ودفن في نفس الضريح الذي نحن بصدده فراح يبحث عن عروس ولكن هذه المرة من الطبقة الاجتماعية الوسطى وربما كان ذلك لإحجام نساء العائلة الملكية عن الاقتران به بعد فضائح زواجه الأول من شويكار.. ووقع الاختيار على نازلي ابنة عبد

الرحيم صبري مدير مديرية المنوفية؛ فتزوجها على غير رضاها وأنجبت له فاروق في فبراير **1920**.

شويكار أيضاً تزوجت لعدة مرات بعد طلاقها من فؤاد، أبرزها من الأمير إلهامي حسين وسيف الله باشا يسري.

ومن الطرائف التي ترتبط بالملك فؤاد وطقوسه الرمضانية أنه كان شديد الحزم فيما يتعلق بمظاهر الإلتزام أثناء الشهر الفضيل وإجلاله وحدث أن الملك فؤاد رأى صورة وزير المعارف (مراد سيد أحمد باشا) وهو يدخن السيجارة علانية في ميدان السباق بمصر الجديدة في نهار رمضان ومع ما أبداه الوزير من المجاهرة بالإفطار في رمضان بهذا الشكل وغضب رجال الدين لذلك أقاله الملك فؤاد والواضح أن علاقة الوزير برجال الدين لم تكن على ما يرام منذ فترة طويلة والسبب أنه حينما كان قاضيا في أسيوط في وقت سابق على حادثة السيجارة أحيلت إليه قضية تعرض سيدة جميلة لعبارات غزل من شاب راح يتتبعها حتى قبضت عليه الشرطة فاعتبر مراد باشا أن الغزل في حضرة الجمال مباح بالقانون!! وجاء بالحكم "وحيث إن المتهم أشاد بجمال السيدة الجميلة مقررا الواقع وحيث إن الله جميل يحب الجمال.. وحيث إنه ليس في وصف جمال السيدة أي خدش للناموس
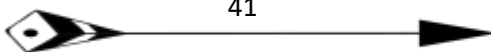
والاعتبار، فلهذا حكمنا ببراءة المتهم!" وهو ما لا يتصور أن يصدر عن قاض. كما شهدت فترة توليه وزارة المعارف واقعة طريفة ألا وهي سرقة أوراق امتحان شهادة الدراسة الثانوية من المطبعة السرية والقبض على بعض الطلبة وتحويلهم للنيابة العامة.

بعد رحيل فؤاد عام **1936** وتولي الملك فاروق عرش مصر كان ذلك بمثابة نقطة الانطلاق لشويكار لتنتقم من فؤاد في شخص فاروق، فحولت قصرها تحت ستار الحفلات الخيرية لمبرة محمد علي باشا إلى مكان مفضل للملك الشاب للرقص واللهو، مما أوقع فاروق في مشاكل عائلية عدة مع زوجته فريدة انتهت بالطلاق في النهاية ومع أمه نازلي التي كانت تخشى عليه منها.

ومن الطريف أن قصر شويكار قد تحول إلى مقر مجلس الوزراء بعد شراء الملك فاروق له، ليكون بجوار البرلمان المصري وبعدها انتقلت شويكار للعيش في قصر ابنها الأمير محمد وحيد الدين بالمطرية.

توفيت الأميرة شويكار عام **1947** ودفنت في ضريحها الفريد.

المراجع والمصادر

1-كتاب عشر سنوات مع فاروق لكريم ثابت

2-فؤاد الأول المعلوم والمجهول ليونان لبيب رزق

****
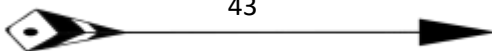
سبيل وكتاب خسرو باشا

تعتبر الأسبلة من المشروعات الاجتماعية الخدمية التي شاعت في العصور الإسلامية بشكل كبير، خاصة في العهدين المملوكي والعثماني، فكانت تقوم بدور حضاري جليل عبر تزويد سكان الأحياء والدواب بالمياه النظيفة مجاناً حيث يتم نقل المياه من نهر النيل إلى الصهريج أسفل السبيل على ظهور الدواب ويقوم بهذه المهمة السقاؤون. وغالباً ما كانت الكتاتيب تعلو الأسبلة فهي أشبه بالمدارس الحديثة التي يتلقى فيها النشء مبادئ التعليم الأولى من القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكانت الأمم الإسلامية في ذلك سباقة في تقديم شكل التعليم الجماعي للأطفال، بالمقارنة بأوروبا التي كانت تعتمد التعليم الفردي آنذاك.

ومن أشهر هذه الأسبلة في مصر: سبيل خسرو باشا أقدم سبيل مستقل غير ملحق بمبانٍ، وهو من التراث العثماني ويقع بشارع المعز لدين الفاطمي بمنطقة بين القصرين.

فمن هو خسرو باشا الذي جاء نعته في لوحة التأسيس: مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدير مصالح الأمم ناظم مناظم العالم؟

بعد هزيمة الحملة الفرنسية في مصر بقيادة آخر جنرالتها جاك مينو أمام الإنجليز والعثمانيين. عادت مصر مرة أخرى لتبعية الباب العالي وشاء القدر أن يكون أول ولاتها بعد استتاب الأمور خسرو باشا القوقازي الأصل، لكن الأمر لم يكن ليستقيم له بهذه السهولة فقد اعترضت سلطات الوالي الجديد مروق كبار رجال المماليك، وفي مقدمتهم عثمان بك البرديسي ومحمد بك الألفي وتمركزهما في الصعيد علاوة على عدم الارتياح الذي ساد علاقته بفرقة الأرناؤوط الألبان وعلى رأسهم طاهر باشا ومحمد علي، الذي صار والياً على مصر بعد سنوات من هذه الأحداث، وظل خسرو يعنفهم بعدم قدرتهم على التصدي للمماليك، واصفاً إياهم بالرزية والفنطزية!!

وبدلاً من أن يدعم خسرو سلطاته في مصر أشعل حروب داخلية مع المماليك في وقت كانت خزانته خاوية على عروشها وجيشه غير مدرب في مقابل المماليك، وهم أهل حرب وبأس وكر وفر، كما أرهق الأهالي بالضرائب الباهظة فكرهوا حكمه وتعاطفوا مع المماليك ضده. وتصاعد الأمر بعجزه عن دفع رواتب الجند الأرناؤوط فثاروا عليه وطوقوا منزله؛ فأمر بضربهم بالمدافع، وهو الأمر الذي كان سينذر بكارثة ويكشف عن
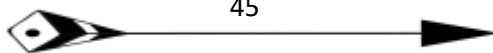
تهور خسرو وسوء تدبيره وعدم تقديره لعواقب الأمور، وأغرى أعداؤه في الوقت نفسه على زيادة وطيس الأحداث وفي مقدمتهم محمد علي.. حاول طاهر باشا التوسط بين الطرفين؛ فرفض خسرو الوساطة واعتبره من فريق المتمردين على سلطانه؛ فغضب طاهر وعزم على تحويل الاتهام إلى حقيقة وانضم لصفوف الثائرين، فضيقوا الحصار على خسرو حتى لم يجد طعاماً للعشاء سوى البقسماط! ففر إلى دمياط بأمواله ونسائه واللاتي بلغ عددهن سبع عشرة امرأة. الطريف أنه في رحلة الهروب لم يكف عن جمع الضرائب من المدن التي يحل بها، ففرض على أهل المنصورة مثلاً تسعين ألف ريال. استطاع البرديسي أن يقبض على خسرو ويرحله للقاهرة سجيناً، فتأكد لدى الباب العالي أن الأمور أفلتت من قبضة خسرو، وأن عليهم استبداله بآخر.

الواضح أن فشل خسرو في مصر كان الفشل الأول والأخير في رحلته المهنية، فقد شغل مناصب عدة في الدولة العثمانية بعد ذلك بنجاح، حيث عين والياً للبوسنة، ثم لأرضروم، ثم القائد العام للأسطول العثماني وأخيراً أصبح الصدر الأعظم للدولة، وعلى رغم من كل هذه المناصب إلا أنه كان لا يزال يكنّ الكراهية ويضمر العداء لمحمد على باشا، ويكيد له في البلاط

السلطاني وراح محمد علي يبادله الشعور ذاته وظل كالغصة في حلقه لوقت طويل.

اعتزل خسرو في نهاية حياته الصراعات وعكف على أعمال الخير حتى توفي عام **1855**.

ولسبيل خسرو واجهتين متشابهتين على الشارع هما الواجهة الشمالية الغربية والواجهة الشمالية الشرقية، وبكل واجهة شباك للتسبيل، ويعلو حجرة التسبيل الكتاب التعليمي وتزين الفسيفساء الرخامية الملونة أرضية السبيل، فيما يميز سقفه زخارف نباتية فضلاً عن آيات من الذكر الحكيم.
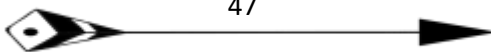
المراجع والمصادر

1-الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك
2-عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي
3-تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر لعمر الإسكندري وسليم حسن.

****

قصر المعارف

ربما لا يعرف البعض أن مبنى وزارة التربية والتعليم القابع في **12** شارع الفلكي بالقاهرة هو واحد من ثلاثة قصور أنشأها الخديوي إسماعيل لبناته، وكان هذا القصر من نصيب إحداهن وهي ابنته بالتبني الأميرة فائقة وقد تبناها إسماعيل لتكون قرة عين لزوجته الثالثة جشم آفت هانم والتي لم يرزقها الله بنعمة الإنجاب والطريف أن جشم آفت هانم كانت صاحبة فكرة إنشاء أول مدرسة حكومية مجانية لتعليم البنات في مصر والعالم الإسلامي وهي مدرسة السيوفية أو السنية فيما بعد وذلك عام **1873**.

كانت فائقة جزءاً من عربون محبة جمعت بين الخديوي إسماعيل وأخيه من الرضاعة ووزير ماليته إسماعيل باشا صديق المفتش، فقد تزوجت فائقة من مصطفى ابن المفتش. بطبيعة الحال يشير هذا إلى علو مكانة إسماعيل باشا المفتش أو الخديوي الصغير كما كان يطلق عليه في الخفاء، فقد ارتفعت منزلته إلى أن يكون الساعد الأيمن للخديوي ويده الطولى في إدارة مالية مصر وفي تمصير الوظائف الصغرى لغة وعاملين، فتم تعيين
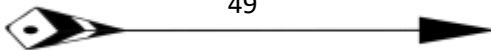
المصريين في الوظائف الحكومية بدلاً من الأتراك بشكل تدريجي وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة. مشروع نبيل حقاً لكن ثمة اتهامات طالت المفتش بأنه أول من ابتدع بيع الوظائف لبني جلدته من المصريين ووضع تسعيرة لذلك وأنه عين في وظائف إدارية من لا يجيد القراءة أو الكتابة، وذلك بحسب أمين باشا سامي صاحب كتاب تقويم النيل الشهير لكن في المقابل يرى البعض أن ما ألصق به كان بهتاناً وجزءاً من الدعاية التركية المناهضة للتمصير. من الاتهامات الأخرى أنه ساعد الخديوي في التوسع في القروض بشكل كبير، مما أوقع مصر في براثن الرقابة الثنائية من جانب بريطانيا وفرنسا كما تناقلت الروايات جانباً كبيراً من الثراء الفاحش الذي عاش فيه المفتش من قصور وجواري.

مع قدوم اللجنة الثنائية (جوشن-جوبير) لدراسة أسباب الأزمة المالية ومع تضييق الخناق حول المفتش بدا أنه يريد التملص وتحميل الخديوي المسؤولية عما آلت إليه البلاد. طلبت اللجنة تنحية إسماعيل صديق عن منصبه ومحاكمته ولكن بحسب كتاب خراب مصر لروزستين فإسماعيل صديق هو من رفض التعاون مع اللجنة باعتبارها من صور التدخل في شؤون البلاد وأياً كان الصواب في الروايتين فقد كانت حياة الرجل هي الثمن

في الحالتين وبين غمضة عين وانتباهتها تبخرت أواصر المودة بين الرجلين فعزم الخديوي إسماعيل على التخلص منه وهنا تتنوع الروايات بشكل كبير حول طريقة القتل ومكانها، فمنهم من يزعم أن المفتش مات خنقاً وقيل بالضغط العنيف على خصيتيه!! وقيل غرقاً في النيل وبعضهم أرجع موته للسكر الشديد، لكن بقي شبه إجماع أن قاتله هو إسحاق بك مقدم العسكر والذي حملت يده الدليل على فعلته حيث عضه إسماعيل بقوة وهو يحاول أن يدفع عن نفسه الموت. أما مسرح الحادث ففي روايات أنه كان قصر الجزيرة (فندق ماريوت الآن) ودنقلة في روايات أخرى.

أياً كان الأمر فالحادثة بشعة بكل المقاييس وتركت جرحاً غائراً في نفوس من شاهدها، فمثلاً يعزو البعض تحول مصطفى باشا فهمي لكفة الحركة العرابية ووزارتها الأولى برئاسة البارودي إلى اشتراكه في هذه الحادثة الشنيعة وكان محافظ القاهرة وقتها وكراهيته للخديوية من بعدها.

كما تولى الإشراف على العملية الابن الثاني للخديو إسماعيل وهو حسين كامل والذي أصبح سلطانا على مصر في ظل الحماية البريطانية وكان يطلق عليه أبو الفلاح لانخراطه في أمور الزراعة كما عرف عنه تدينه الشديد وتمسكه بالتقاليد والذي دفعه لاخراج وزير الأوقاف إسماعيل باشا صدقي
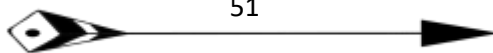
وقتئذ من الوزارة بشكل لافت إثر فضيحة أخلاقية تحدثنا عنها في كتاب على هامش التاريخ والادب الجزء الأول. لكن ما علاقة إسماعيل صدقي والذي أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد بقصتنا؟! العلاقة شديدة الطرافة ذلك أن الاسم الذي حمله إسماعيل باشا صدقي يقال أن اختيار والديه له جاء تيمنا بذكرى إسماعيل صديق المفتش الذي كان له شهرة واسعة في الأوساط الشعبية ربما بسبب هذه الحادثة وربما لكثرة الأراضي التي كان يملكها وحتى كاتب هذه السطور فقد رأيت اسمه على وثيقة لوالد جدى الذي اشترى أرضا له في الماضي من عزبته.

وبانتهاء أسطورة إسماعيل صديق انتهت المصاهرة أيضاً وحدث الطلاق وتزوجت الأميرة من محمد عزت باشا رئيس ديوان الخديوي.

(من المباحث الطريفة والتي لا يقترب منها الباحثون هي الديانة الحقيقية للحكام باعتبارها شأنا خاصا بأصحابها لكنها في واقع الأمر قد ترصد نفاقا داخليا في نفوس أصحابها وحقيقة نظرتهم لشعوبهم والتي تحمل أحيانا قدرا كبيرا من الاستخفاف ففي كتاب ألفريد جاشوا بتلر: (الحياة في البلاط الملكي المصري) وكان من خاصة الخديو توفيق ينقل قصة مفادها أن الخديو إسماعيل كان غاضبا من ابنه توفيق لميوله الدينية الإسلامية معترفا

بكونه مسيحيا قائلا : "أنا لست مسلما بل إني مسيحي" كما نصحه :"عندما تتولى العرش تظاهر بأنك مسلم جيد فسيحبك الشعب من أجل ذلك. هذه سياسة جيدة!!". لا يمكننا بطبيعة الحال أن نؤكد هذه القصة أو ننفيها ولكن تأثر الخديو إسماعيل بالعمارة المسيحية بدا واضحا في مسجد الرفاعي الذي أقامته والدته خوشيار هانم فالشبابيك من داخل المسجد وعلى المداخل كونت شكل يشبه الصليب إضافة إلى قبر زوجته الفرنسية (جانانيار هانم شقيقة فرديناند ديلسيبس المهندس الفرنسي الشهير) بداخل المسجد والذي أخذ شكل كنيسة نوتردام الفرنسية ويحمل الصليب لأعلى وآيات قرانية بماء الذهب على جدرانه. نعود مرة أخرى للقصر)

كان القصر في البداية يحمل اسم سراي الإنشاء وهو نفس الاسم الذي حمله الحي، وقد سميت بهذا الاسم لتزامنها مع إنشاء أحياء القاهرة الجديدة، ثم سميت سراي عزت باشا نسبة للزوج الأخير.

تحول القصر بداية من عام **1929** لملكية الحكومة المصرية بعد أن اشترته من الأميرة وزوجها بمبلغ **85** ألف جنيه، وتم استخدام القصر كمبنى
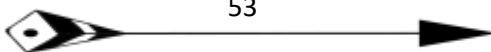
لوزارة المعارف والتي تغير مسماها إلى وزارة التربية والتعليم في **2** سبتمبر **1954.**

يتكون القصر من طابقين بينهما سلم رخامي ويوجد به العديد من القاعات أشهرها القاعة العربية بالطابق الأرضي فزخارفها النباتية والهندسية على الطراز الأندلسي..

وتستعد وزارة التربية والتعليم لمغادرة القصر مع الانتقال للعاصمة الإدارية الجديدة وسط تساؤلات حول مصير القصر بعد ذلك.

المصادر والمراجع

1-مذكراتي في نصف قرن لأحمد شفيق باشا
2-تقويم النيل لأمين باشا سامي
3-تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل لإلياس الأيوبي
4- موقع La fabrique du caire moderne **جامعة ديوك**

****
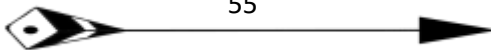
مقياس النيل

يعتبر النيل شريان الحياة لمصر والمصريين. كان نهر النيل قديماً يفيض كل عام مما يساعد على ترسيب الطمي المفيد للتربة لكن في المقابل كان ارتفاع مياه الفيضان مدمراً للأراضي والمحاصيل الزراعية وكان انخفاضه أيضاً كارثة على الزراعة. فكان لزاماً التفكير في وسيلة لقياس مستوى الفيضان ومن ثم اتخاذ التدابير التي تحول دون إخطاره عبر إقامة القنوات والسدود وكان تحصيل الخراج أي ضريبة الأطيان الزراعية يقاس تبعاً لذلك.

يعود الفضل لإنشاء أول مقياس إسلامي إلى عهد الدولة الأموية وتحديداً زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقد أقامه عامل الخراج الأموي أسامة بن زيد التنوخي، بجزيرة الروضة أقدم جزر النيل بالقاهرة، وكان اختيارها نظراً لكونها هادئة نسبياً وبعيدة عن التدمير من أثر الفيضانات، وحتى لا يتسربُ إليها كثيرٌ من الطمي. أما المقياس بصورته الحالية فيعود للخليفة العباسي المتوكل على الله والذي عهد بإنشائه إلى المهندس أحمد بن محمد الحاسب(قبره بجوار ضريح الإمام الليث بن سعد ومكتوب عليه مهندس المقياس) وقيل أحمد بن كثير الفرغاني (أقيم له تمثال تذكاري في جزيرة

الروضة مع زيارة الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف لمصر **2007**) ويذهب البعض لكونهما شخص واحد. وتشير بعض الروايات أن اسم المتوكل أغفل عن قصد لاحقاً أيام أحمد بن طولون أثناء تجديد المقياس وذلك لتأكيد الهيمنة الطولونية والاستقلال عن الخلافة العباسية.

يتكون المقياس من عمود مثمن من الرخام الأبيض مقسم إلى أذرع للقياس ويرتكز العمود على قاعدة من خشب الجميز الذي لا يتأثر بالمياه.

كان بلوغ النيل **16** ذراعاً هو بشارة وفاء النهر وكانت تقام الاحتفالات ولعل أجمل هذه الاحتفالات ما سنه المعز لدين الله الفاطمي من متابعة الاحتفالات عبر قصر اللؤلؤة، ومما يروى أن المُعز وجد أن النداء بشكل يومي على مقدار منسوب النيل من شأنه أن يثير الخوف والهلع بين الناس وترتفع الأسعار وتختفي البضائع من الأسواق، فاختص نفسه بهذه التقارير اليومية والتي يقوم بها عصراً موظف مسؤول يسمى صاحب المقياس على أن ينادي بمنسوب الفيضان على الناس حينما يبلغ حد الوفاء. بعد المجاعة المستنصرية التي اجتاحت مصر إثر انخفاض منسوب النيل بشدة، تم تجديد المقياس وبنى القائد بدر الدين الجمالي بجواره مسجد المقياس أما في العصر
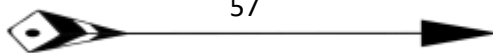
المملوكي فكان المقياس الرسمي بالبلاد وقد أقام الظاهر بيبرس قبة رفيعة مزخرفة بالمقياس.

الطريف أن السلطان المملوكي خشقدم ومع تأخر فيضان النيل أصدر أوامره بالكف عن المعاصي والتنكيل بمرتكبيها كما أمر القضاة والعلماء بالذهاب للمقياس والدعاء فلما طال الوقت عن أسبوعين ووقع الغلاء وعز الخبز في الأسواق، فانتوى أن يهدم المقياس حتى يتوقف الناس عن متابعة الزيادة والنقصان لكنه تراجع وتمهل حتى أوفى النيل.

ومع أواخر عهد الدولة المملوكية كان الاهتمام بالمقياس متزايداً، فكان السلطان قانصوه الغوري يكثر من الذهاب إليه وقد شيّد قصراً على بسطة المقياس ومسجداً ومع دخول العثمانيين مصر سار سليم الأول على نفس الخطى من كثرة الزيارة كما أنشأ قصراً من الخشب فوق قصر الغوري.

نال المقياس حظاً من تسجيلات الرحالة ومنهم الرحالة الدنماركي (نوردن) عام **1737**، ثم كتاب وصف مصر النتاج العلمي الفريد للحملة الفرنسية على مصر عام **1798**، وقد عمل الفرنسيون على رفع كفاءة المقياس عبر إزالة الطمي المتراكم في قاعه وتطهير الحوض، ووضعوا مكعباً من الرخام

الأبيض بارتفاع ذراعٍ واحد أعلى تاج العمود، وتولى ذلك (لوبير) كبير المهندسين الفرنسيين.

استمر المقياس يؤدي عمله الهام حتى بناء السد العالي عام **1960**، والذي حمى الأراضي الزراعية من الفيضانات ليصبح المقياس بعد ذلك معلماً أثرياً فريداً هو ثاني أقدم الآثار الإسلامية المصرية بعد جامع عمرو بن العاص.
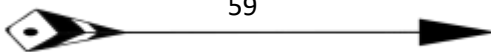
المراجع والمصادر:

1-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي
2-كتاب وصف مصر علماء الحملة الفرنسية على مصر
3-عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي

****

بركة الفيل

تعتبر العديد من المصادر حديقة الحيوان بالجيزة والتي أُنشئت عام **1891** في عهد الخديوي توفيق هي الأقدم مصرياً وعربياً وأفريقياً، ولكن الحقيقة أن مصر عرفت حدائق الحيوان في وقت مبكر على ذلك وتحديداً في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون، حيث أمر ببناء حظائر للحيوانات كالسباع والفهود والنمور وغيرها والعناية بها، من حيث التغذية والنظافة وخصص البركة التي نحن بصددها، وهي أقدم البرك ذكراً في التاريخ، وتقع خارج باب زويلة (شمال شرق ميدان السيدة زينب اليوم)، لتكون داراً للفيلة ومنها جاءت التسمية، وتحولت البركة مع الوقت لمكان جميل للنزهة والاستمتاع بمشاهدة الفيلة.

الطريف أن خمارويه من مبلغ حبه للحيوانات استأنس أحد السباع، أطلق عليه (زريق) واتخذه صديقاً يشاركه طعامه ولا يغادره حتى في أوقات النوم وكان السبع مميزاً بعينيه الزرقاوين.
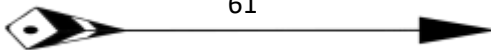
ولأننا ذكرنا خمارويه فلابد وأن نأتي على ذكر الزفاف الأسطوري لابنته ذلك أن خلاف طويل خاضته الخلافة العباسية في بغداد مع الدولة الطولونية في مصر أراد خمارويه أن يضع له حداً بزواج ابنته الأميرة أسماء ذات الأربعة عشر ربيعاً والملقبة بقطر الندى من ابن الخليفة العباسي المعتضد بالله ولكن جمال الفتاة جعلها مطمعاً للخليفة ذاته فخطبها لنفسه في مقابل صداق ألف درهم، والاعتراف بحكم خمارويه وأولاده لمدة ثلاثين عاماً.

أحاط خمارويه الزيجة بكل أوجه الأبهة والبذخ الفاحش حتى أفلس خزائن مصر، فكان من بين الجهاز بحسب المؤرخين دكة لتضع عليها قدمها من أربع قطع من الذهب عليها قبة ذهبية بكل عين فيها قرط وبكل قرط جوهرة لا تقدر بثمن، إضافة لمائة هون من الذهب يدق فيها الطيب والعود وألف مبخرة ذهبية وعشرون صينية من ذهب وفضة وقد أوكل مهمة تجهيز قطر الندى إلى الحسن بن عبد الله الشهير بابن الجصاص أشهر تجار الجواهر في مصر وبغداد، وفتحت له خزائن مصر دون رقيب كما أعطاه مليون دينار ليشتري من تحف بغداد ماليس موجوداً بمصر، ويلحقه بجهاز ابنته لتكون على أتم صورة من الكمال والثراء.

وشيّد الأب في طريق موكب جهاز ابنته من قصر الإمارة بالقطائع بمصر إلى قصر صاعد ببغداد بكل استراحة قصر منيف متخم بالأثاث والمفروشات باهظة الأثمان ليهون على ابنته عناء السفر!!.

وحانت لحظة الوصول وحط الموكب رحاله في بغداد وخرج الناس عن بكرة أبيهم ليشاهدوا الموكب المصري الفريد العامر بالكنوز والأحجار الكريمة، وقد حملته دواب مسرجة بالذهب والجواهر.

انفض العرس وأصبحت الأميرة الشابة هي الأثيرة لقلب الخليفة ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فالشر الذي ظن خمارويه أنه أغلق بابه بالدفع بابنته للخليفة قد آتاه من طريق آخر، فقد قتله بعض خدمه في قصره بسفح جبل قاسيون بدمشق وماتت ابنته حزناً عليه وانهارت بعد ذلك بقليل الدولة الطولونية، ولم يبق من أثرها سوى أغنية شعبية تؤرخ لهذا الزفاف الأسطوري تقول: "يا حنة يا حنة يا قطر الندى".

نعود لبركتنا فمع اعتلاء السلطان العادل زين الدين كتبغا حكم مصر أنشأ بها ميداناً للعبة القبق (أي الهدف) أو لعبة القرعة، وهي خشبة كبيرة بأعلاها كرة معدنية بداخلها طير ويتبارى المتسابقون في رمي السهام وتكون الكرة من نصيب الفائز، لكن مع خلع كتبغا استولى الإهمال على
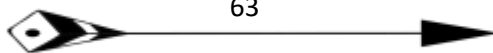
الميدان وفي فترة السلطان الناصر محمد بن قلاوون تحولت بركة الفيل لمكان يقطنه الأثرياء من أمرائه.

تمر السنون ويعتلي أريكة الحكم الخديوي عباس حلمي الأول فيبني على البركة سراي الحلمية ومع هدم السراي عام **1902**، تحولت أراضيها لحي الحلمية الجديدة وهكذا تشاء الأقدار أن تتحول منطقة الأثرياء لواحد من أشهر الأحياء الشعبية المصرية.

المراجع والمصادر

1-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي

2-متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني لمحمد الششتاوي

****
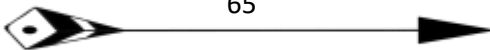
الهودج.... حكاية لها العجب

دائماً ما تحمل لنا كتب التراث في بطونها قصصاً وحكاياتٍ لها العجب، من فرط ما تنقله من حوادث وصراعات تفوق الخيال إثارة، ومنها حكايتنا في هذه الحلقة ذلك أن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله الذي تولى الحكم في الخامسة من عمره كان يعشق الجواري العربيات البدويات ويجد في طلبهن ويرسل عيونه للبحث عنهن بين خيام القبائل العربية، فإذا وقعت البدوية في حبه زهدها وانصرف يبحث عن أخرى وهكذا، وذات مرة تنامى إلى سمعه أن شاعرة بدوية فائقة الجمال تدعى العالية، تقطن بالصعيد فذهب لحيّها متخفياً في زيّ الأعراب حتى يستجلي أمرها عن كثب، فلما وقع بصره عليها ملك حبها قلبه، فلما رجع لقصره بالقاهرة أرسل إلى أهلها يطلب الزواج منها فوافقوا وأرغموها على القبول فأحاطها بعنايته وحبه واهتمامه وصار إسعادها شغله الشاغل، لكن مع الوقت تململت البدوية من عيشة القصور الناعمة التي لم تألفها؛ فقرر الآمر أن يبني لها بجوار بستان جزيرة الروضة (تشغله الآن مستشفى وكلية طب القصر

العيني وكلية طب الأسنان) بناءً على شكل هودج وتفنن في تزيينه وزخرفته حتى يحاكي بيئتها الأولى ولهذا سمي بالهودج.

لكن الواضح أن ما هيأه الآمر لم يصرف خاطرها عن الحنين للماضي، كما لم يملك الآمر فؤادها بعد كل هذا البذل والعطاء، فبدأت ترسل شعراً لابن عمها وحبيبها الأول ابن مياح قائلة:

"يا ابن مياح إليك المشتكي مالك من بعد قد ملكا

كنت في حي مطاعًا آمرًا نائلًا ما شئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصر مرصد لا أرى إلا خبيثًا ممسكًا

كم تثنينا كأغصان اللوا حيث لا نخشى علينا دركا".

فرد عليها بقوله:

"بنت عمي والتي غذيتها بالهوى حتى علا واحتبكا

بحت بالشكوى وعندي ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى

مالك الأمر إليه أشتكي مالك وهو الذي قد ملكا"،

فلما بلغ الآمر هذه الأشعار الغرامية طارد ابن مياح وأطلق جواسيسه للبحث عنه في كل مكان وأصبحت القصة حديث المجالس الشعبية والأسمار..
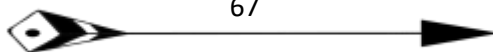
وقد تسللت هذه القصة إلى الأمثال فيقول العرب: "ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحي بثلاثة أبيات" وطراد بن مهلهل هذا شاعر من بني طيء لما عرف بقصة الحبيبين أنشد قائلاً مخاطباً الآمر:

" ألا بلغوا الآمر المصطفى مقال طراد... ونعم المقال

قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سمر الحي بين الرجال

كذا كان آباؤك الأكرمون؟ ... سألت فقل لي جواب السؤال"

فتوعده الآمر بقطع لسانه لفضوله، وأطلق اتباعه للقبض عليه دون جدوى.

بالطبع لنا أن نتخيل ما كانت عليه مصر في هذا الوقت من أوضاع والخليفة جُلّ اهتمامه بين إرضاء الحبيبة ومطاردة العشيق والمتهكمين عليه أيضاً، فأصبحت الدولة المصرية بلا قيادة تقريباً، وسقطت أملاكها في الشام في قبضة الفرنج.

دفع الآمر ثمن حبه غالياً أيضاً كما دفعته مصر ففي أحد الأيام وهو في طريقه للهودج ظفر به مجموعة من النزارية (الشيعة الباطنية) وقتلوه وحمل إلى قصر البدوية مضرجاً في دمائه لتلقي عليه نظرة الوداع الأخير.

في عهد الدولة الأيوبية وتحديداً في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب تم إزالة الهودج (يشغل اليوم المنطقة التى تقع مواجهة لكوبري الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل) فضلاً عن البستان وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً ليقيم قلعته التي عرفت بقلعة الروضة أو القلعة الصالحية.
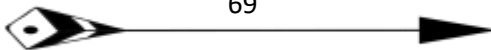
المراجع والمصادر

1-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي

2-متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني لمحمد الششتاوي.

3-تاريخ وآثار مصر الإسلامية - الهيئة العامة للاستعلامات 1973

****

حي العباسية

من ذا الذي يجهل هذا الحي العريق الذي يحتل الصدارة بين أحياء مصر المشبعة بالوقائع والحكايات التاريخية على مر العصور؟ إنه حيّ العباسية لكن هل كنت تتصور عزيزي القارئ أن هذا الحيّ المكتظ بالسكان وبالمعالم كانت بدايته صحراء تسمى الريدانية. هذه الصحراء شهدت انقضاء العهد المملوكي وبداية الحكم العثماني لمصر... وهو ما يقودنا إلى حكاية هذه الحلقة حكاية المملوك الأخير.

في العهود الماضية إلى الأفول عادة ما تكون هناك نهايات محتومة، فهي ثمرة سنوات عجاف من المعاناة والمرارة لابد وأن تطوى صفحاتها، وفي ثنايا هذه النهايات تطل علينا شخصيات فارقة تمثل حيوداً عن كل مضي من سلبيات حاملة لنا معان البطولة وإشراقة الأمل في مستقبل أفضل، ولكن أحياناً يكون مجيئها والوقت قد مضى ولم يعد سبيل للإصلاح ومن هذه الشخصيات الأمير الشاب طومان باي.
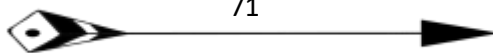
مع اعتلاء السلطان سليم الأول دست حكم الدولة العثمانية نشب الصراع بينه- بوصفه زعيماً للمسلمين السنة- وبين الدولة الصفوية الشيعية وعلى رأسها الشاه إسماعيل، حيث انتهى الصراع باستيلاء سليم على عاصمة الصفويين (تبريز)، وهروب الشاه من عاصمته وفي خضم هذه المعارك مع الصفويين حاول السلطان سليم استمالة قانصوه الغوري (تعني كلمة قانصوه بالتركية عصارة الدم) سلطان مصر ليكون عضداً له في هذه المواجهة إلا أن الغوري اتخذ موقف المتفرج حتى النهاية.. بيد أن سرعان ما تعاقبت الحوادث بشكل ينذر بأن هناك مواجهة مرتقبة للعثمانيين مع المماليك وذلك باستيلاء سليم على إمارة دلغادر الواقعة تحت سيادة المماليك وبذلك أصبح العثمانيون على مشارف الأراضي المملوكية في الشام.

سارع السلطان الغوري بتجهيز جيشه والخروج به إلى حلب بالشام في عام **1516**م، وبصحبته الخليفة المتوكل على الله (كان يمثل الخلافة العباسية الاسمية في مصر) والقضاة الأربعة، واستبق الدخول في مواجهة مع سليم الأول بإرساله رسولٍ إلى سليم مؤكداً رغبته بالصلح وتفادي الحرب، فرفض سليم وأساء وفادته وقال للرسول: "قل لأُستاذك يلاقيني على مرج دابق" وهي منطقة داخل الأراضي الشامية الخاضعة للمماليك،

وكشفت الحرب عن ساقها عند مرج دابق غير أن خيانة بعض القادة للغوري مثل: (خاير بك والذي أصبح حاكماً على مصر بعد ذلك في ظل الحكم العثماني - الخواجة إبراهيم السمرقندي والخواجة يونس العادلي والعجمي الشنقشي وهم من أخصاء الغوري - جان بردي الغزالي والذي أصبح حاكماً لدمشق تحت الحكم العثماني) أدى إلى هُزيمة الجيش المملوكي بقيادة الغوري والذي لقي حتفه تحت سنابك الخيل العثمانية، ولم يعثر له على جثمان وأسر الخليفة المتوكل على الله والذي حمله سليم الأول معه حيث تنازل له عن الخلافة في مراسم جرت في "آية صوفيا" لتنتقل الخلافة بصورة رسمية من العباسيين إلى العثمانيين ودخل سليم الأول حلب وفي أول صلاة جمعة في المسجد الكبير هناك تلقب بخادم الحرمين الشريفين.

كان الغوري قبيل مغادرته لمصر قد عين طومان باي نائباً للغيبة ومع مقتل السلطان الغوري، كان لابد من وحدة الصف فاجتمع الأمراء المماليك على استخلاف طومان باي ليكون سلطاناً لمصر –متجاهلين محمد ابن السلطان الغوري الراحل- إلا أنه تمنع ورفض المنصب لإدراكه صعوبة الخطب مع انقسام المماليك ولم يقبل إلا بعد أن حضر إليه الشيخ أبو
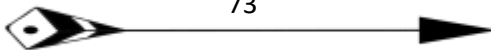
السعود الجارحي أحد كبار المتصوفة في عصره، وتمت البيعة عند الشيخ في كوم الجارح، حيث حلف الأمراء على طاعة طومان باي وعدم ظلم الرعية مرة أخرى، ولقد كان الشيخ على القدر المطلوب من المسؤولية الملقاة على عاتقه في ظرف تاريخي كهذا؛ فخاطب الأمراء في شيء من الحسم قائلاً: "إن الله ما كسركم وذلكم وسلط عليكم ابن عثمان إلا بدعاء الخلق عليكم في البر والبحر"، فقال الأمراء: "تبنا إلى الله عن الظلم من اليوم". وتعتبر هذه البيعة سابقة تاريخية هي الأولى من نوعها التي يشارك فيها القادة الدينيون في اختيار السلطان، والتي كانت حكراً على المماليك، ثم على الباب العالي بعد ذلك، كما حصل طومان باي على البيعة من المستمسك بالله والد الخليفة العباسي المحتجز لدي سليم الأول!!

قاد طومان باي حركة تصحيحية، فرفض فرض ضرائب جديدة لتمويل المعركة المنتظرة مع العثمانيين على رغم من كون خزائن الدولة فارغة على عروشها، فضلاً عن رفضه مصادرة أموال الأوقاف واعتبر ذلك من المظالم التي لا يقبل أن تحدث في حكمه.كما قضى على مراكز القوى وأعمدة النظام السابق، وفي مقدمتهم الزيني بركات المحتسب والذي بلغت درجة ولائه للغوري السلطان السابق أنه لم يتوانَ عن تعطيش سكان القاهرة لأربعة

أيام متتالية من أجل توفير السقاية لمولاه!! ومع تولي طومان باي انحسر نفوذ الزيني بركات إلى حد كبير وكانت القاشة التي قصمت تواجده على الساحة المصرية بشكل كامل حينما التجأ دباغاً ظلمه الزيني بركات إلى الشيخ أبي السعود الجارحي، فاستدعى بركات وقال له: "يا كلب كم تظلم المسلمين وأمر بكشف رأس بركات بن موسى وضربه بالنعال".

يبدو أن نجاح سليم في إحكام سيطرته على الشام وهزيمة المماليك، قد أغراه في إخضاع مصر لحكمه دون قتال إضافة إلى خشيته من استغلال الصفويين لغيابه في العودة لأملاكهم مرة أخرى، فضلاً عن مخاطر اجتياز صحراء سيناء والتعرض لهجمات القبائل البدوية فيها، فأرسل إلى طومان باي في مصر لإقناعه أن يكون نائباً عنه في حكم مصر، وأن يُذكر اسمه في خطبة الجمعة وأن تصك النقود باسمه. لكن طومان باي رفض هذه التبعية للحكم العثماني بإيعاز من الأمراء المماليك، فاضطر سليم لإكمال زحفه على مصر بإلحاح من خاير بك.

حاول طومان باي الاستعداد للمعركة مع العثمانيين بكل السبل فأرسل حملة بقيادة جان بردي الغزالي -والذي فرّ من مرج دابق، ولم يكن قد انكشف أمره بعد- لمقاتلة العثمانيين شمال غزة لتفويت الفرصة عليهم
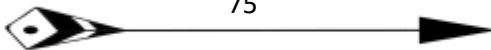
أن يصلوا إلى الأراضي المصرية، لكن جان بردي يعود لخيانته مرة أخرى متقاعساً عن أداء مهمته فيواصل العثمانيون زحفهم نحو مصر.

شرع طومان باي في الاعتماد على بقايا الجيش المملوكي والمتطوعين من المصريين وأمر أن يحفر خندقاً دفاعياً عند صحراء الريدانية في شرق القاهرة وكانت خطته تتركز على أرهاق العثمانيين في عمليات كر وفر ولكن خيانة بعض المماليك سربت خطة طومان باي للعثمانيين الذين داروا حول خندق الريدانية وتوجهوا نحو القاهرة فلحق بهم طومان باي وجيشه، حيث أبدوا من البسالة والشجاعة ما مكنهم من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين لدرجة مقتل الصدر الأعظم العثماني سنان باشا، ولكن التفوق العسكري للعثمانيين حال بين السلطان الشاب وتحقيق النصر الكامل في الموقعة، حيث استخدمت لأول مرة المدافع العثمانية الحديثة مما قلب موازين المعركة لصالح العثمانيين ففرّ طومان باي ورجاله بعدما تكبدوا خسائر فادحة. تحاشى السلطان سليم دخول القاهرة بعد المعركة مباشرة بسبب المقاومة الباسلة التي أبداها طومان باي ورجاله وقد ذكر ابن زنبل الرمال أن السلطان سليم كان يوبخ خاير بك كثيراً، بل إنه هم بضرب عنقه، بعد دخول القاهرة، وهروب طومان باي ونجاحه في تنظيم المقاومة

ضد الغزو العثماني، وبعد مرور ثلاثة أيام وتحديداً في **26** يناير **1517** دخل سليم الأول مصر في موكب مهيب برفقته الخليفة العباسي والقضاة ومحاطاً بجنده يحملون الرايات العثمانية الحمراء وقد كُتب عليها "إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا"، "نصرٌ من الله وفتحٌ قريب". ولم يكد السلطان يهنأ بهذا الفتح حتى باغته طومان باي في "بولاق"؛ في حملة مفاجئة بعد يومين من دخوله مصر واشترك معه المصريون وأشعلوا النيران في معسكر سليم الأول والذي كان خارج المدينة، وظن الناس أنّ النصر لهم، وخطب لطومان باي في القاهرة في يوم الجمعة، وكان قد دعي لسليم الأول في الجمعة التي سبقتها، غير أن هذا الفوز لم يحسم المعركة لصالح طومان باي؛ إذ سرعان ما لجأ الجنود العثمانيون إلى سلاح البنادق، وأمطروا به الأهالي والمماليك، فأجبروهم على الفرار، وفرّ طومان باي بعد هزيمته بشكل حاسم في معركة وردان قرب إمبابة بالجيزة إلى بنها شمال القاهرة. أما الأمراء بمن فيهم جان بردي الغزالي فقد استسلموا للقوات العثمانية. وشرع العثمانيون في معاقبة المصريين ويقول ابن إياس في كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" أن جنود سليم الأول أمعنوا في قتل المصريين في الشوارع كما تعمدوا إحراق مسجد شيخون والمنازل المحيطة به باعتباره رمزاً لمقاومة طومان
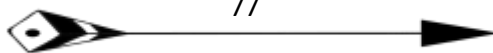
باي، حيث كان يجتمع فيه مع جنوده وقواده، وانتشرت الجثث في شوارع القاهرة من مصريين ومن مماليك وجنود وأمراء كانوا موالين لطومان باي ويقول ابن إياس "ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط".

الطريف أن طومان باي قرر أن يلخص للتاريخ بطولته وبطولة الشعب المصري في التصدي للغزاة من العثمانيين، وذلك وفقاً لرواية ابن زنبل الرمال من خلال معلقة شعرية طويلة أنشدها الأمير قيت الرجبي أمام الأهرام وعلقها عليها!!! يقول فيها:

"دموع العين فاضت من مآق

وقلبي ذاب من كثر احتراق

فلا ناري طفاها دمع عيني

ولا دمعي يفيض من اختناق

وشمس السعد في شرق المعالي

وبدر الضد في درج المحاق

فلما أن أراد الله هذا

أتانا الروم من جهة العراق

وسلطان الجميع سليم شاه

عظيم الملتقى مرّ المذاق

وكان الماجد الغوري منا

مليكاً شبه بحر فى اندفاق

وكان الحرب يوم الحد لكن

تولى جيشنا والحرب باق

وسلطان لنا أضحى قتيلاً

طريحاً والدماء لفي انهراق

وكان الخائن الكلب الغزالي

وخاير بك مبوطن في النفاق

هما أصل الهزيمة عن حقيق

لدى حلب كخيل في سباق

وساروا بعدها سيراً حثيثاً

لغزة ثم مصر في لحاقي

ولما استجمعوا في مصر قالوا

نسلطن أيكم والضد باق
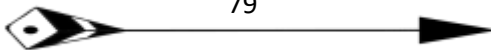
وجاءتنا رجال الروم مصر

وقد حازوا البلاد مع الآفاق

وأخرجت الجموع لنلتقيهم

وكان الشر يوم الحرب راقي

وفي خط المدافع قام قومي

وزادوا في الخصام وفي الشقاق

وقد جاءت علينا الروم حقاً

كبحر هائج في الاندفاق

قتلنا من ملوكهم ثلاثاً

وأسقيناهم كأس الرهاق

ولما قد رأوا ذا العقل مني

أتونا كالجبال بانطباق

وأسقيناهم كأس المنايا

فخروا للذي مذ كنت ساقي

ولما أن رأيت الحرب دارت

عليّ ولم تتابعني رفاقي

فوليت الجواد لنحو مصر

وأيقنت الفناء والله باق

ثلاثة أيام كان القتل فيهم

وفينا والعساكر في محاق

وبعد الظهر جاءتنا جيوش

عداد الرمل جمعاً في انطباق

وزلزلت البلاد بهم إلى أن

حسبت الحشر قام مع التلاقي

فقلت لرفقتي خلوا وفلوا

وولينا جميعاً بافتراق

وعدنا عن قتال الروم قهراً

لقينا قيت رجبي من بلاق

وعلقنا على الأهرام شعراً

كنظم الدر في حسن السياق

لمن يقرأه معبرا ليدري

بأن الله بعد الخلق باق

وتجزى كل نفس يوم عرض

بما فعلته في يوم التلاقي"

لجأ طومان باي إلى شيخ العرب حسن بن مرعي لسابق معروف أسداه إليه في الماضي، حيث توسط لإخراجه من السجن في عهد الغوري إلا أن كراهية العرب للجراكسة والمتأججة في الصدور جعلت شيخ العرب يحنث قسمه لطومان ويسلمه للسلطان سليم. وذلك حسبما أورد ابن إياس فيما يذكر ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) أنّ طومان باي هو الذي سلم نفسه. أعجب سليم الأول بشجاعة طومان باي في الدفاع عن ملكه بالرغم من كل العوائق، وكاد السلطان أن يعفو عنه ويتخذه وزيراً، لكن خاير بك أوغر صدره عليه قائلاً: "يا مولاي، إن أبقيت عليه وجعلته وزيراً لا يبقي عليك هذا المعاند الباطل والكلب الجاهل ويفسد جميع عساكرك". عندئذ أمر السلطان بقتل طومان باي شنقًا بشكل علني، فسُلِّم طومان باي إلى علي باشا دلقدار أوغلو ليعدمه على باب زويلة، وكان المماليك قد أعدموا شهسوار بك والد على باشا دلقدار أوغلو قبل أربعين عاماً على نفس هذا الباب لصداقته مع العثمانيين، ودُفن الجثمان في القبر

الذي كان السلطان الغوري قد أعدّه لنفسه ويصف ابن إياس إعدام طومان باي بقوله: "فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة، وقال للناس الذين حوله: اقرأوا لي سورة الفاتحة ثلاث مرات. فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات وقرأت الناس معه، ثم قال للمشاعلي: اعمل شغلك. فلما وضعوا الخية في رقبته ورفعوا الحبل انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة، وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع إلى الأرض، ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس". ويضيف: "فلما شنق وطلعت روحه؛ صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف وأقام ثلاثة أيام، وهو معلق على الباب حتى جافت رائحته، وفي اليوم الثالث أنزلوه وأحضروا له تابوتاً ووضعوه فيه، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان الغوري عمه، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه هناك، ودفنوه في الحوش الذي خلف المدرسة، ومضت أخباره كأنه لم يكن" يقول ابن زنبل الرمال: "وكان ذلك اليوم على أهل المملكة أشأم الأيام، وبكت عليه الأرامل والأيتام". فيما يتحدث ابن إياس عن تفرد الواقعة بقوله: "ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الزمان أن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط، ولا علقت رأس سلطان على باب زويلة قط، ولم يعهد بمثل هذه الواقعة في الزمن القديم". ولقد
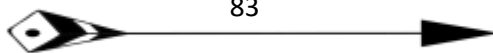
دفع الإعجاب بطومان باي الفنان الأيطالي (باولو جيوفو) وهو صاحب الصورة الشهيرة لقانصوه الغوري إلى اعتبار طومان باي من الشخصيات التاريخية المؤثرة.

الطريف هو ما أورده الباحث التركي (البارز يلماز أوزتونا) في كتابه (تاريخ الدولة العثمانية) من أن سليم الأول أقام لطومان باي احتفال تشييع جثمان لا مثيل له مكتنفاً تابوت طومان باي بنفسه وأنه وزع على الفقراء النقود الذهبية لمدة ثلاثة أيام على روح طومان باي!! والحقيقة أنه لو صحت هذه الرواية، فالسلطان سليم الأول الأب الروحي للمثل الشعبي "يقتل القتيل ويمشي في جنازته".

غادر سليم الأول مصر عائداً إلى إسطنبول عام **1518** بعد حملته على مصر والتي استغرقت سنتين وشهرين وهي الأطول في التاريخ العثماني.

نعود إلى قصة الحي والذي يعود الفضل في إنشائه للخديوي عباس حلمي الأول والذي كان غريب الأطوار مائل للعنف والقسوة يهوى العزلة والانغلاق على الذات فأنشأ قصراً له في هذه الصحراء والتي أصبحت تحمل اسمه وكان للقصر ألفي نافذة بحسب فرديناند ديلسيبس، ثم بدأ يدب فيها العمران شيئاً فشيئاً مع إقامته لثكنات عسكرية بالمنطقة لتدريب الجيش

ومن الطريف أن هذه الثكنات بعد ذلك هي التي شهدت احتجاز الزعيم أحمد عرابي باشا تمهيداً لمحاكمته ونفيه لجزيرة سيلان حينما فشلت ثورته العرابية عام **1882**.

ومع الوقت تحول حي العباسية من حي يقطنه الأثرياء إلى حي يضم كافة الأطياف خاصة بعد ثورة عام **1952**.

****

علي بابا.... قصة من مصر

جميعنا ونحن صغار سمعنا بقصة علي بابا الرجل الرقيق الحال الذي يعمل ببيع الحطب والذي تقوده الصدفة ليسمع مجموعة من اللصوص عددهم أربعين يتحدثون عن مغارة مليئة بالذهب والجواهر والأموال وأن كلمة السر لها هي : "افتح يا سمسم" فيسرع علي بابا إلى المغارة ويستولي على الكنز ويهنأ مع زوجته مرجانة في نهاية المطاف بالكنز بعدما خلصه القدر من أخيه قاسم ومن اللصوص معا... الحقيقة أننا بالشرق تشربت عقولنا بأن علي بابا رجل صالح ولكن الهنود كانوا أكثر وعيا وفهما لحقيقة القصة وأن علي بابا لم يكن بتصرفه هذا وعدم تسليمه الكنز للشرطة سوى لصا سرق لصوصا ومن هذا الفهم نستطيع أن نصل إلى أصل الحكاية.

في عصر الخليفة العباسي أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي كان المصريون العاملون في المناجم لاستخراج الذهب والجواهر الكريمة بالصعيد على حدود مصر بالقرب من بلاد النوبة يتعرضون لغارات مستمرة من قوم محاربين يسمون (البجة) يسكنون الصحاري اختلف في أصلهم بين المؤرخين فمنهم من يعتبرهم أحباشا أو

من الشعوب الأفريقية القديمة وآخرون يرجعون أصولهم للجزيرة العربية ويسكنون شرق السودان منذ القدم !!.

مستشاري المتوكل أشاروا عليه بصعوبة مواجهة محاربين كهؤلاء مدربين على الكر والفر ويقطنون مناطق وعرة لذلك تقاعس المتوكل لبعض الوقت عن نجدة أهل مصر ولكن حينما وجد أن الغارات قد أثرت بالسلب على حصة الخلافة من دخل المناجم أرسل جيشا بقيادة محمد بن عبد الله القمي ويقال أنه استخدم سلاح الحيلة فوضع الاجراس على أعناق الخيل حتى تحدث ضوضاءا مما جعل جمال البجة تنفر وأمام التفوق التنظيمي لجيش المتوكل انهزم ملك بلاد البجة وكان اسمه (علي بابا أو علي أولباب) وحمل أسيرا إلى المتوكل حيث أكرمه وأعاده إلى بلاده معززا مكرما بعدما تعهد بعدم الإغارة مجددا على مناجم الذهب المصرية.

ذهب البعض إلى أن كنوز المناجم المصرية والتي حصل عليها علي بابا وقومه من البجة كانت ملهمة لبعض الكتاب لاختلاق أحداث قصة علي بابا والأربعين حرامي ذائعة الصيت.

ولأن الشئ بالشيء يذكر فحياة الخليفة المتوكل كانت أشبه هي الأخرى بحكايات ألف ليلة وليلة فلقد جمع القدر بين قلب الخليفة وبين حب
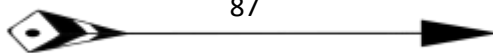
حياته الجارية الرومية (قبيحة) والتي داعبت فؤاد الخليفة حينما كتبت اسمه "جعفر" على خدها الأسيل بمسك بنكهة الزعفران.. الطريف أن اسم قبيحة هو الاسم الذي اختاره المتوكل لها ليواري خلفه شدة جمالها وحسنها عن أعين الحاسدين!!.

أنجبت قبيحة من المتوكل ابنا هو المعتز بالله وراحت تمارس ضغوطا على المتوكل لاحلال ابنها المعتز بالله بدلا من نجله الأكبر المنتصر في ولاية العهد مما أوغر صدر المنتصر خاصة مع إلقاء المعتز لخطبة الجمعة نيابة عن المتوكل أثناء مرضه فنال استحسان الجميع فاشتعلت نيران الغيرة لدى المنتصر فقتل أباه بمعاونة القادة الأتراك الذين تزايد نفوذهم ويمرض المنتصر فجأة ويموت ويخلفه المستعين بالله أخو المتوكل ومع مؤامرات قبيحة يخلع المستعين نفسه عن الخلافة لكن لم تقنع قبيحة بذلك فأرسلت تطلب من أحمد بن طولون قتله فلما رفض طلبت من سعيد الحاجب قتله فقتله وكان طلب المستعين الأخير أن يصلي ركعتين لله وحملت رأسه للمعتز وهو يلعب الشطرنج فكافأ قاتله.

وتدور الأيام وتجني قبيحة ثمار ما زرعت من قبح و كراهية ودماء حيث يقع الخلاف بينها وبين زعيم الجند الأتراك صالح بن وصيف فتحاول أن

تألب الأتراك عليه بمنع رواتبهم حتى يقتلوه لكن ابن وصيف كان أذكى منها فأعلم الجند أن قبيحة وابنها الخليفة ممتنعان عن دفع الرواتب. حاول المعتز بالله احتواء الأمر فطلب من قبيحة خمسين ألف دينار لدفع رواتب الجند فرفضت وهنا جانبها الصواب والحكمة التي تقتضي الانحناء للعاصفة فتركت ابنها لقمة سائغة بين الجند الأتراك الذين أوسعوه ضربا ولطما حتى تنازل عن الحكم ومع ذلك استمروا في تعذيبه حيث منعوا عنه الطعام والشراب وجعلوه في بيت وسدوا بابه حتى مات عطشا.

حاولت قبيحة تهريب أموالها عبر سرداب بالقصر وتوارت عن الأنظار في شعبان ثم عادت في رمضان بعد وساطة مع ابن وصيف والذي حصل منها على ألف ألف دينار وثلاثمئة ألف دينار وسفطا من زمرد وآخر من لؤلؤ فقال مندهشا من حجم ثرائها الكبير : "قبح الله قبيحة عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ولديها كل هذه الأموال ".

لم يكتف ابن وصيف بالمال بل عذب غريمته السابقة واغتصبها ثم تركها تذهب لمكة لتدعو عليه صارخة : "هتك صالح ستري وقتل ولدي وأخذ مالي وغربني عن بلدي وركب الفاحشة مني" بالطبع نال صالح عقابه بعد ذلك حيث قتل وحملت رأسه إلى الخليفة المهتدي.
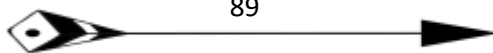
بقي أن نعرف ما خلفه أبطال قصتنا فالمتوكل له جامع الملوية أو جامع الجامع بسامراء بمئذنته الملوية المميزة كما شيد مدينته المتوكلية علاوة على تجديد مقياس النيل وذكرنا ذلك آنفا أما قبيحة فكان لها دار بشارع باب الصفصاف بطرسوس أوقفتها لضيافة المجاهدين في سبيل الله أو طلاب العلم.

المراجع والمصادر

1-تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي

2-تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري

3-هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان لضرار صالح ضرار

****
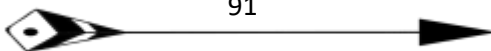
السيرة الذاتية للكاتب

محمد فتحي عبد العال

كاتب وباحث مصري

بكالوريوس صيدلة -جامعة الزقازيق2004

دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجي التطبيقية- جامعة الزقازيق2006

ماجستير في الكيمياء الحيوية- جامعة الزقازيق2014

دبلوم إدارة الجودة الشاملة - أكاديمية السادات للعلوم الإدارية 2015

دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية - المعهد العالي للدراسات الإسلامية 2016

شهادة معهد إعداد الدعاة-المركز الثقافي الإسلامي- وزارة الأوقاف 2017

شهادة البرنامج التدريبي لأكاديمية زاد الإسلامية (أون لاين 2019)

العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الأحصاء من أكاديمية سايلور (أون لاين**2019**) ومن كلية العلوم جامعة الزقازيق والمعلوماتية الحيوية من جامعة بكين (كورسيرا أون لاين **2019**)

العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الجودة الطبية منها شهادة تخصص سلامة المرضى من جامعة جون هوبكينز (كورسيرا أون لاين**2018**) ومن جامعة ستانفورد أون لاين **2019** وشهادة تخصص في تطوير الأداء ستة سيجما الحزام الاخضر جامعة جورجيا (كورسيرا أون لاين **2018**)

العديد من الدورات في مجال الأدارة ومنها الدورة التأسيسية لإعداد القيادات التنفيذية والإدارية والنقابية –وزارة الشباب بالتعاون مع لجنة التعليم بنادي الصيادلة ونقابة صيادلة الشرقية **2015**

دورات في تدريب المدربين من مركز سيسكو **2017** ومن مركز التنمية الثقافية والتكنولوجية بمحافظة الشرقية **2017** و **TeamSTEPPS Master Trainer 2018**
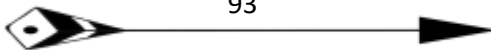
عضو باللجنة التدريبية بمجلس الإعتماد الدولي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية

الدكتوراه الفخرية من أكاديمية السلام بألمانيا **2018**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية ودرع نقابة صيادلة الشرقية**2015**

تكريم كصيدلي متميز من نقابة صيادلة الشرقية والهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية ودرع نقابة صيادلة مصر **2016**

تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

شهادة شكر وتقدير من مجلة مبدعون ووكالة مرآة الحياة العراقية **2018** ومن المركز العراقي للأدباء والفنانين الشباب وجريدة طريق القوم بالعراق **2019** ومن صحيفة صدي المستقبل بليبيا **2019.**

شهادة تقديرية من مبادرة الباحثون العراقيون **2018**

درع الإبداع والتميز وشهادة تقدير من مجلة أمارجي الأدبية العراقية **2018**

صيدلي ورئيس قسم الجودة ومدير المكتب الفني بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً

صيدلي بمستشفى المواساة الدمام-الجبيل الصناعية سابقاً

مدير الصيدلية الداخلية ومسؤول سلامة المرضى وإدارة المخاطر ومؤشرات الأداء بمستشفى الفلاح الدولي بالرياض سابقاً

مستشار طبي بشركتي **CAT** و**237 COMMUNICATIONS JLT** بمصر والسعودية والإمارات سابقاً

كاتب وباحث ثقافي بالعديد من الصحف العربية والبوابات الإلكترونية في مجالات الطب والعلوم والتاريخ والحضارات الإنسانية والدراسات الدينية

ومن الصحف الورقية التي أنشر بها مقسمة حسب بلدانها:

الجزائر: صحيفة صوت الأحرار الجزائرية (صفحة اسبوعية ثابتة تحت عنوان مساحة رأي)

صحيفة الحوار الجزائرية- صحيفة الجديد الجزائرية-صحيفة الجمهورية الجزائرية – صحيفة كواليس الجزائرية.

مصر: صحيفة الأهرام –صحيفة العروبة-صحيفة الزمان-صحيفة أخبار الأدب-صحيفة الرأي
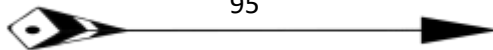
العراق: صحيفة الزوراء العراقية -مجلة أمارجي الأدبية العراقية- صحيفة النهار العراقية-صحيفة البينة العراقية الجديدة-صحيفة جدار العراقية-صحيفة الكلمة الحرة العراقية -صحيفة ثقافية كل الاخبار العراقية -مجلة مبدعون العراقية -صحيفة سيروان الكردية.

السودان: صحيفة أخر لحظة السودانية.

ليبيا: صحيفة صدي المستقبل الليبية – صحيفة فسانيا الليبية.

حول العالم: صحيفة صوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية (مقال طبي شهري) - صحيفة أيام كندية (مقال ثقافي شهري).

البوابات الإلكترونية مثل: الجمهورية أون لاين- موقع الدستور الإلكتروني (امان) - موقع هافينغتون بوست الامريكي -عربي بوست-ساسة بوست -بوابتي تونس-راديو صوت بيروت الدولي -راديو صوت القلم الجزائري - فينيق-بقجة -صحيفة المثقف الإلكترونية-فوكس نيوز مصر -الراكوبة - سودانيز أون لاين -صحيفة الفكر الكردية الإلكترونية-صحيفة الحدث الإلكترونية من لندن -صحيفة الفيصل من باريس-صحيفة المنار العراقية الإلكترونية-بوابة الحضارات التابعة لمؤسسة الأهرام.

الجوائز الحاصل عليها: شهادة تكريم من اتحاد الصيادلة العرب وشعبة المبدعين العرب عن كتابي تأملات بين العلم والدين والحضارة معرض القاهرة الدولي **2020**

شهادة تكريم للحصول على المركز الأول في فرع الدراسات من مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع عن كتابي جائحة العصر **2020**

تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرع النقابة.

تكريم بدرع الإبداع من مجلة امارجي الادبية العراقية **2018.**

من كتبه:

-تأملات بين العلم والدين والحضارة

-على هامش التاريخ والأدب

-حكايات الأمثال

-رواية ساعة عدل
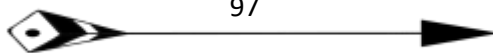
-المجموعة القصصية في فلك الحكايات

-جائحة العصر

-رواية خريف الأندلس

****
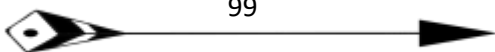
محتويات الكتاب

تم بحمد اللّه
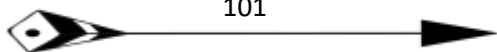
دراسة أدبية

حكايات من بحور التاريخ

د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com